كشف الهم بتفسير جزء عم

كتبه : علي بن سالم بن يعقوب باوزير
عفا الله عنه

(سورة النبأ)

(مكية وآياتها ٤٠)
(بسم الله الرحمن الرحيم)

(عمَّ) عن أيِّ شيءٍ ، وأصلها : (عن) الجارة و(ما) الاستفهامية ، فأُدغِمتْ النون في الميم ، وحذفت الألف للجر (يتساءلون) أي يسأل بعض قريش بعضا ، والاستفهام للتفخيم ، كقوله : (ما القارعة) ، يتساءلون (عن النبأ) أي الخبر (العظيم) ؟ وهو البعث (الذي هم فيه مختلفون) فمنهم من يقطع بإنكاره ، ومنهم من يشك فيه (كلا) ردع لهم عن الاختلاف فيه (سيعلمون) ما يحل بهم على إنكارهم له (ثم كلا سيعلمون) كرر الردع للتشديد ، و(ثُمَّ) يشعر بأن الثاني أشدُّ من الأوَّل ، كقوله : (أولى لك فأولى . ثم أولى لك فأولى) ، ثم أومأ تعالى إلى القدرة على البعث فقال: (ألم نجعل الأرض مهادا) فراشا كالمهد، أي ألم يخلقِ الله هذه الخلائق العجيبة؟ فلِمَ تنكرون قدرته على البعث ؟ وما هو إلا اختراع كهذه الاختراعات (والجبال أوتادا) تثبَّت بها الأرض كما تثبَّت الخيام بالأوتاد ، لئلا تميد بكم ، والاستفهام للتقرير ، أي قد جعلنا الأرض مهادا ، والجبال أوتادا (وخلقناكم أزواجا) أصنافا: ذكورا وإناثا (وجعلنا نومكم سباتا) قطعاً لأعمالكم ، وراحة لأبدانكم ، والسبت هو القطع (وجعلنا الليل لباسا) ساترا لكم عن العيون بسواده (وجعلنا النهار معاشا) وقتا للمعايش ، تتقلبون في حوائجكم ومكاسبكم (وبنينا فوقكم سبعا) أي سبع سموات (شدادا) جمع شديدة ، أي قوية محكمة لا يؤثر فيها مرور الزمان ، غلظ كل واحدة مسيرة خمسمائة عام (وجعلنا) فيهن (سراجا) مضيئا (وهَّاجا) وقادا، أي جامعاً للنور والحرارة ، وهي الشمس (وأنزلنا من المعصرات) السحائب إذا أعصرت ، أي شارفت أن تعصرها الرياح فتمطر (ماء ثجَّاجا) منصباً بكثرة (لنُخْرِجَ بِهِ) بالماء (حَبّاً) كالبر والشعير (وَنَبَاتاً) كلأً وعشباً (وجنات) بساتين (ألفافاً) ملتفة الأشجار ، جمع لفيف ، كشريف وأشراف (إن يوم الفصل) بين المحسن والمسيء من الخلائق ، وهو يوم القيامة (كان ميقاتا) وقتا للحساب والجزاء (يوم ينفخ في الصور) وهو القرن ، والنافخ إسرافيل عليه السلام (فتأتون) من قبوركم إلى الموقف (أفواجا) جماعات مختلفة ، مع كل أمة رسولها (وفتحت السماء) شققت لنزول الملائكة (فكانت أبوابا) ذات أبواب وفروج ، بخلاف اليوم (وسيرت الجبال) ذُهِبَ بها عن أماكنها بعد نسفها (فكانت سرابا) وهو ما يُرَى على وجه الأرض عند شدة الظهيرة وكأنه ماء ، وليس بماء (إن جهنم كانت مرصادا) موضعَ رصد ، يرصد ويرقب فيه خزنةُ النارِ الكفارَ (للطاغين) الكافرين ، وأصل الطغيان مجاوزة الحد ، ومنه قوله تعالى : (إنا لما طغى الماء حملناكم في الجارية) ، (مآبا) مرجعا لهم فيدخلونها (لابثين) ماكثين (فيها أحقابا) دهورا لا نهاية لها ، جمع حُقُب بضمتين (لا يذوقون فيها بردا) ما يُبَرِّد عليهم حرارةَ جهنَّم ، وقيل : نوما (ولا شرابا) يسكِّن عطشهم (إلا) لكن يذوقون شرابا (حميما) ماء حارا غاية الحرارة (وغسَّاقا) ما يسيل من صديد أهل النار كقوله : (ويسقى من ماء صديد يتجرعه ولا يكاد يسيغه) ، وكذا شراب المهل الذي يشوي الوجوه ، فإنهم يذوقونه فيزيد من عذابهم ، جوزوا بذلك (جزاء وفاقا) موافقاً لأعمالهم ، فلا ذنب أعظم من الكفر (إنهم كانوا لا يرجون) يخافون (حسابا) على كفرهم ؛ لإنكارهم البعث (وكذبوا بآياتنا) القرآن (كِذَّابا) تكذيبا مبالغِين فيه (وكل شيء) من الأعمال (أحصيناه) حفظناه وضبطناه (كتابا) كتْبا في اللوح المحفوظ لنجازي عليه (فـ) يقال لهم في الآخرة (ذوقوا) جزاء كفركم وتكذيبكم بآيات الله (فلن نزيدكم إلا عذابا) فوق عذابكم ، وهذه الآية قيل : إنها أشد ما في القرآن على أهل النار ، وهي كقوله : (الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ) ، وقوله : (وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاء كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ) .

(إن للمتقين مفازا) مكان فوز في الجنة (حدائق) بساتين فيها أنواع الشجر المثمر جمع حديقة (وأعنابا . وكواعب) جواري نواهد ، تكعبت ثديُّهن أي استدارت ، جمع كاعب (أترابا) على سنٍّ واحد ،

جمع تِرْب (وكأسا دهاقا) مملوءةً خمراً (لا يسمعون فيها) أي في الجنة عند شرب الخمر وغيرها من الأحوال (لغوا) باطلا من القول (ولا كِذّابا) أي تكذيبا من واحد لغيره، بخلاف ما يقع في الدنيا عند شرب الخمر (جزاء من ربك) أي جزاهم الله بذلك جزاء (عطاء حسابا) أي كثيرا كافياً ، من قولهم : أحسبه الشيء ، إذا أعطاه فأكثر عليه ، حتى قال : حسبي (ربِّ السموات والأرض وما بينهما الرحمن) بالجرِّ صفة (لا يملكون) أي الخلق ، وهم أهل السموات والأرض وما بينهما (منه) تعالى (خطابا) أي لا يقدر أحد أن يخاطبه خوفا منه ، والشفاعة لا تكون إلا بإذنه (يوم) ظرف لـ (لا يملكون) (يقوم الروح) جبريل ، خصه لشرفه (والملائكة صفا) حال أي مصطفين (لا يتكلمون) أي الخلق (إلا من أذن له الرحمن) في الكلام أو الشفاعة من المؤمنين والملائكة (وقال) قولا (صوابا) حقا ، فهؤلاء الذين هم أفضل الخلق ، وأقربهم من الله إذا لم يقدروا أن يتكلموا بالصواب إلا بإذنه ، فكيف يملكه غيرهم ممن أشرك مع الله (ذلك اليوم) وهو يوم القيامة (الحق) الثابت وقوعه (فمن شاء اتخذ إلى ربه مآبا) مرجعا، وذلك بالتوبة والإيمان والعمل الصالح ؛ ليسلم من العذاب فيه (إنا أنذرناكم) أيها الكفار ، والنذارة: إعلام مع تخويف (عذابا قريبا) في الآخرة؛ لأن ما هو آتٍ قريب (يوم) ظرف لـ (عذابا قريبا) (ينظر المرء) أي كلُّ امرئٍ (ما قدّمت يداه) أي الذي قدمه من خير وشر ، وعبر باليدين لأنهما أكثر الجوارح مزاولة للأعمال (ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا) في الدنيا فلم أُخلَق ولم أُكلّف ، أو في هذا اليوم فلم أبعث لئلا أعذب ، يقول ذلك عندما يقول الله تعالى للبهائم بعد الاقتصاص من بعضها لبعض : كوني ترابا . والله تعالى أعلم .

(سورة النازعات)

(مكية وآياتها ٤٦)
(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والنازعات) قسم بالملائكة التي تنزع أرواح الكفار (غرقا) أي إغراقاً في النزع ، والمعنى : نزعا بشدة حيث تنزعها من أقاصي الأجساد من تحت كل شعرة ، ومن أناملها ، ومواضع أظفارها (والناشطات نشطا) وهي الملائكة التي تنشط أرواح المؤمنين ، أي تسُلّها برفق (والسابحات سبحا) وهي الملائكة التي تسبح في السماء بأمره تعالى حين نزولها وصعودها (فالسابقات سبقا) وهي الملائكة التي يسبق بعضها بعضاً في امتثال أمر الله تعالى (فالمدبرات أمرا) وهي الملائكة تدبر أمر الدنيا أي تنزل بتدبيره ، وجواب هذه الأقسام محذوف ، أي لَتُبْعَثُنَّ يا كفار ، وهو عامل في (يومَ ترجُفُ الرَّاجِفَة) النفخة الأولى ، بها يرجف كل شيء أي يتزلزل ، فوصفت بما يحدث منها (تتبعها الرادفة) النفخة الثانية ، فالأولى تميت الخلق ، والثانية تحييهم ، وبينهما أربعون سنة (قلوب يومئذ واجفة) خائفة مضطربة (أبصارها) أبصار أصحابها (خاشعة) ذليلة من الخوف ؛ لهول ما ترى (يقولون) أي منكرو البعث في الدنيا استهزاء وإنكاراً للبعث (أإنا لمردودون في الحافرة) استفهام بمعنى الإنكار ، أي أنرد بعد الموت إلى الحياة ، والحافرة : اسم لأول الأمر ، ومنه رجع فلان في حافرته ، إذا رجع من حيث جاء ، أنكروا البعث ، ثم زادوا استبعاداً فقالوا: (أإذا كنا عظاما نخرة) بالية متفتتة نحيا ؟ (قالوا تلك) أي رجعتنا إلى الحياة (إذا) إن صحت (كرة) رجعة (خاسرة) ذات خسران أو خاسر أصحابها ، والمعنى أنها إن صحت فنحن إذاً خاسرون لتكذيبنا بها ، وهو استهزاء منهم ، فرد الله عليهم بألا يستصعبوها (فإنما هي) أي الرادفة التي يعقبها البعث (زجرة) نفخة، من قولهم: زجر البعير إذا صاح عليه (واحدة) كقوله : (وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر) ، (فإذا) نُفِخت إذا (هم) أي كل الخلائق (بالساهرة) بوجه الأرض أحياء بعدما كانوا ببطنها أمواتا ، سميت بذلك لأن سالكها يسهر خوفاً .

(هل أتاك) يا محمد (حديث موسى) خبر نبوته ثم إرساله إلى فرعون وقومه ، وهو استفهام تقرير المقصود منه تسليته ﷺ ، وتهديد قريش بأن يصيبهم مثلُ ما أصاب من هو أعظم منهم (إذ) حين (ناداه

ربه بالواد المقدس) المطهر المبارك (طُوى) اسم الوادي ، فقال له : (اذهب إلى فرعون إنه طغى) تجاوز الحد في الكفر والفساد حيث ادعى الألوهية والربوبية (فقل هل لك) أدعوك (إلى أن تزكى) تتطهر من الشرك (وأهديك إلى ربك) أدلك على معرفته ببرهان (فتخشى) فتخافه ، بدأ مخاطبته بالاستفهام على معنى العرض كما يقول الرجل لضيفه : هل لك أن تنزل بنا ؟ وأردفه الكلام الرقيق ليستدعيه باللطف في القول ، ويستنزله بالمداراة عن عتوه ، كما أمر بذلك في قوله تعالى : (فقولا له قولاً ليناً) (فأراه الآية الكبرى) من آياته التسع وهي اليد والعصا (فكذب) فرعونُ موسَى والآيةَ الكبرى ، وسماهما ساحراً وسحراً (وعصى) اللهَ تعالى (ثم أدبر) تولى عن موسى ، وأعرض عن الإيمان به (يسعى) ساعياً في إبطال أمره (فحشر) جمع السحرة وجنده (فنادى) في المقام الذي اجتمعوا فيه (فقال أنا ربكم الأعلى) لا ربَّ فوقي (فأخذه الله) أهلكه (نكال) عقوبة (الآخرة) بالإحراق (والأولى) بالإغراق ، وقيل : الآخرة هذه الكلمة ، والأولى قوله قبلها : (ما علمت لكم من إله غيري) وكان بينهما أربعون سنة (إن في ذلك) المذكور (لعبرة) عظة (لمن يخشى) الله تعالى .

(أأنتم) يا منكري البعث (أشد) أي أكبر (خلقا) وأصعب إنشاءً (أم السماء) أشد خلقا ؟ والجواب بلا ريب : السماء ، كما قال : (لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون) ، ثم بين كيف خلَقَها فقال: (بناها) ثم بين كيف بناها فقال: (رفع سمكها) أعلى سقفها وأغلظ سمكها ، والمعنى: جعل مقدار ارتفاعها من الأرض ـ وكذا ثخنها ـ ذاهبا في العلو رفيعاً (فسواها) جعلها مستوية بلا عيب ولا فطور (وأغطش ليلها) أظلمه (وأخرج ضحاها) أبرز ضوء شمسها ، وأضيف إليها الليل لأنه ظلها ـ أي ظلمتها ـ والشمس لأنها سراجها (والأرض بعد ذلك) أي بعد خلق السماء (دحاها) بسطها ، ومهدها للسكنى والانتفاع بها ، وكانت مخلوقة قبل السماء من غير دحو ؛ لقوله في فصلت : (قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين) إلى قوله : (ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين فقضاهن سبع سموات في يومين ...) الآية ، ثم فسر الدَّحْوَ فقال : قد (أخرج) حال أي مُخرجا (منها ماءها) بتفجير عيونها (ومرعاها) ما ترعاه النعم من الشجر والعشب ، وما يأكله الناس من الأقوات والثمار ، وإطلاق المرعى عليه استعارة (والجبال أرساها) أثبتها على وجه الأرض لتسكن ولا تميد بكم ، فعل ذلك (متاعا) أي تمتيعاً (لكم ولأنعامكم) جمع نَعَم ، وهي الإبل والبقر والغنم .

(فإذا جاءت الطامة الكبرى) الداهية التي تطم أي تعلو على سائر الدواهي، وهي القيامة أو النفخة الثانية (يوم يتذكر الإنسان) إذا رأى أعماله مدونة في كتابه يتذكرها وكان قد نسيها (ما سعى) في الدنيا من خير وشر (وبرِّزت) أظهِرت (الجحيم) النار المحرقة (لمن يرى) لكل راء ، خصوصا المجرمين كما في قوله : (ورأى المجرمون النار) ، وفي صحيح مسلم : (يؤتى بجهنم لها سبعون ألف زمام ، مع كل زمام سبعون ألف ملك) ، (فأما) جواب (فإذا) أي إذا جاءت الطامة فإن الأمر كذلك (من طغى) كفر (وآثر) فضل (الحياة الدنيا) على الآخرة ، باتباع الشهوات (فإن الجحيم) النار (هي المأوى) المرجع (وأما من خاف مقام ربه) قيامه بين يديه للحساب ، كقوله : (يوم يقوم الناس لرب العالمين) ، (ونهى النفس) الأمارة بالسوء (عن الهوى) المردي ، أي زجرها عن اتباع الشهوات (فإن الجنة هي المأوى) المرجع ، وحاصل الجواب : فالعاصي ليس له إلا النار ، والمطيع ليس له إلا الجنة (يسألونك) أي كفارُ مكَّة (عن السَّاعة) القيامة (أيَّان مرساها) متى وقوعها وقيامها (فيم) أي في أيِّ شيء (أنت) يا محمد (من ذكراها) أي من ذكر القيامة والسؤال عنها ، استفهام المراد به النفي ، والمعنى : لست من علمها في شيء ، حتى يسألوك عنها لتذكرها لهم (إلى ربك منتهاها) منتهى علمها إليه ، لا إلى غيره ، فكيف يسألونك عنها (إنما أنت منذر) أي إنما ينفع إنذارك (من يخشاها) يخافها ، والمعنى : لم تُبعَث لتُعلِمَهم بوقت الساعة ، وإنما بُعِثتَ لتنذر من أهوالها من يخاف شدائدها (كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا) في الدنيا (إلا عشية أو ضحاها) عشية يوم أو بكرته ، استقلوا مدة لبثهم في الدنيا لما عاينوا من الهول ،

كقوله : (ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة) ، وصح إضافة الضحى إلى العشية لما بينهما من الملابسة ؛ لاجتماعهما في نهار واحد ، إذ هما طرفا النهار ، والمراد أن مدة لبثهم لم تبلغ يوماً كاملاً ، ولكن أحد طرفي النهار عشيته أو ضحاه ، وحسَّن الإضافةَ وقوعُ الكلمة فاصلة . والله تعالى أعلم .

(سورة عبس)

(مكية وآياتها ٤٢)
(بسم الله الرحمن الرحيم)

(عبس) النبيُّ ﷺ أي قطّب وجهه (وتولى) أعرض ؛ لأجل (أن جاءه الأعمى) عبد الله بن أم مكتوم ، فقطعه عما هو مشغول به ممن يرجو إسلامه من أشراف قريش ، وكان حريصا على إسلامهم ، ولم يدر الأعمى أنه مشغول بذلك فناداه : عَلِّمني مما علمك الله، فانصرف النبي ﷺ إلى بيته ، فعوتب في ذلك بما نزل في هذه السورة ، ذُكر أن النبي ﷺ كان بعد ذلك يقول له إذا جاء : (مرحبا بمن عاتبني فيه ربي) ويبسط له رداءه ، ويقول له : (هل لك من حاجة) ؟ واستخلفه على المدينة مرتين ، وذكر الأعمى للإشعار بعذره في الإقدام على قطع كلام رسول الله ﷺ ، والدلالة على أنه أحق بالرأفة والرفق (وما يدريك) يُعلِمك (لعله يزّكى) أصلها يتزكى فقلبت التاء زايا وأدغمت في الزاي ، أي يتطهر من الذنوب بما يسمع منك (أو يذّكر) أصلها يتذكر فقلبت التاء ذالا وأدغمت في الذال ، أي يتّعظ (فتنفعه الذكرى) موعظتك (أما من استغنى) بالمال (فأنت له تصَدَّى) أصلها تتصدى حذفت إحدى التاءين تخفيفا ، أي تتعرض بالإقبال عليه حرصاً على إيمانه (وما عليك) أي ليس عليك بأس وحرج في (أن لا يزكى) بالإسلام هذا المستغني، إن عليك إلا البلاغ (وأما من جاءك يسعى) يسرع في طلب الخير (وهو يخشى) الله تعالى (فأنت عنه تلهَّى) أصلها تتلهَّى حذفت إحدى التاءين تخفيفا، أي تتشاغل (كلا) لا تفعل مثل ذلك (إنها) أي السورة أو الآيات (تذكرة) عظة للخلق ، يجب عليهم الاعتبار بها (فمن شاء) أن يذكره (ذكره) أي اتعظ به ، وذكّر الضمير لأن التذكرة في معنى الذِّكْر والوعظ (في صحف) أي مثبتة فيها ، صفة لتذكرة (مكرَّمة) عند الله (مرفوعة) في السماء (مطهرة) منزهة عن مس الشياطين (بأيدي سفرة) جمع سافر ، كتبةٍ ينسخونها من اللوح المحفوظ (كرام بررة) أتقياء لله ، وهم الملائكة (قُتِل الإنسان) لُعن الكافر (ما أكفره) استفهام توبيخ أي : أيُّ شيء حمله على الكفر ؟ أو تعجب أي : ما أشدَّ كفره (من أي شيء خلقه) الاستفهام للتحقير ، والمعنى: من أيِّ حقير خلقه ، ولذلك أجاب عنه بقوله: (من نطفة) ماءٍ مهين (خلقه فقدره) أطواراً : علقة ثم مضغة إلى أن يتم خلقه (ثم السبيل) أي طريق خروجه من بطن أمه (يسره) سهله ، بأن فتح فوهة الرحم ، وألهمه أن ينتكس (ثم أماته فأقبره) جعله في قبر يستره كرامة له (ثم إذا شاء أنشره) أحياه بعد موته (كلا) ردع للإنسان عن الكفر (لمَّا يقض) أي لم يفعل هذا الكافر (ما أمره) به ربه من الإيمان. ولما عدد النعم في نفسه من ابتداء حدوثه إلى أوان انتهائه أتبعه ذكر النعم فيما يحتاج إليه فقال : (فلينظر الإنسان) نظر اعتبار (إلى طعامه) الذي يأكله ، ويحيى به ، كيف قدرناه ودبرناه له (أنا صببنا الماء) المطر من السحاب (صبا) كثيرا على الأرض (ثم شققنا الأرض) بالنبات (شقا . فأنبتنا فيها حبا) كالبر والشعير وغيرهما مما يتغذى به (وعنبا وقضبا) هو القَتُّ الرَّطْبُ علفا للداوب (وزيتونا ونخلا . وحدائق) بساتين (غلبا) عظاماً ، وصف به الحدائق لتكاثفها وكثرة أشجارها ، أو لأنها ذات أشجار غلاظ ، جمع غُلباء (وفاكهة) لكم (وأبًّا) مرعى لدوابِّكم ، وهو ما ترعاه البهائم من الكلأ، فعل ذلك (متاعا) أي تمتيعا (لكم ولأنعامكم) جمع نَعَم ، وهي الإبل والبقر والغنم .

(فإذا جاءت الصَّاخَّة) النفخة الثانية وهي صيحة القيامة ؛ لأنها تصخ الآذان أي تصمها (يوم يفر المرء من أخيه . وأمه وأبيه . وصاحبته) زوجته (وبنيه) خصَّهم لفضلهم على الإناث (لكل امرئ منهم يومئذ

) يوم القيامة (شأن يغنيه) حال يشغله عن شأن غيره ؛ لاشتغاله بشأن نفسه ، وعِلْمه بأنهم لا ينفعونه، أو للحذر من مطالبتهم بما قصر في حقهم ، وتأخير الأحبِّ فالأحبِّ للمبالغة ، كأنه قيل : يفر من أخيه بل من أبويه بل من صاحبته وبنيه (وجوه يومئذ مسفرة) مضيئة (ضاحكة مستبشرة) فرحة مسرورة ، وهي وجوه المؤمنين ؛ لما ترى من النعيم (ووجوه يومئذ عليها غبرة) غبار (ترهقها) تغشاها (قترة) ظلمة وسواد كالدخان (أولئك) أهل هذه الحالة (هم الكفرة الفجرة) أي الجامعون بين الكفر والفجور ، وهو العصيان ، فلذلك يجمع إلى سواد وجوههم الغبرة . نسأل الله العافية والسلامة . والله تعالى أعلم .

(سورة التكوير)

(مكية وآياتها ٢٩)
(بسم الله الرحمن الرحيم)

(إذا الشَّمس كُوِّرت) لُفَّت كما تُلفّ العمامة، وذهب بضوئها (وإذا النجوم انكدرت) تساقطت على الأرض، كقوله: (وإذا الكواكب انتثرت) ، (وإذا الجبال سُيِّرت) ذهب بها عن وجه الأرض ، فصارت هباء منبثا ، تمر مر السحاب (وإذا العِشار) جَمْعُ عُشَرَاءَ ، كالنُفَاسِ جَمْعُ نُفَسَاء ، وهي الناقة التي أتى على حملها عشرة أشهر (عُطِّلت) أهملت ، عطلها أهلها لاشتغالهم بأنفسهم ؛ لما دهاهم من الأمر ، وكانوا يحبسونها إذا بلغت هذه الحال لعزتها عندهم ويعطلون ما دونها (وإذا الوحوش حشرت) جُمعت بعد البعث ليقتص لبعضها من بعض ثم تصير ترابا (وإذا البحار سجِّرت) مُلِئت ، بأن فُجِّر بعضها إلى بعض، حتى عادت بحراً واحداً، ثم أوقدت فصارت نارا ، كقوله: (وإذا البحار فجِّرت) ، (وإذا النفوس زُوِّجت) قرنت بأجسادها ، أو كلٌّ منها بأمثالها: المسلم مع المسلم ، والفاجر مع الفاجر (وإذا الموؤدة) الجارية تدفن حية خوف العار والحاجة (سُئِلت) تبكيتا لقاتلها (بأيِّ ذنب قتلت) ؟ كتبكيت النصارى بقوله تعالى لعيسى : (أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله) ؟ ، واستدل بها على أن أطفال المشركين لا يعذبون ، وعلى أن التعذيب لا يكون بلا ذنب ، وقد ثبت في صحيح البخاري أنهم يكونون في الجنة ، وعند الطبراني أنهم خدم أهل الجنة [صحيح الجامع] (وإذا الصحف نشرت) يعني صحف الأعمال فإنها تطوى عند الموت وتنشر وقت الحساب ، كقوله : (ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا) ، (وإذا السماء كُشطت) نُزِعت عن أماكنها كما ينزع الجلد عن الشاة ، كقوله : (يوم نطوي السَّماء كطيِّ السجل للكتب) ، (وإذا الجحيم) النار (سُعِّرت) أوقدت إيقاداً شديداً ، وأظهرت لأهلها كقوله : (وبرزت الجحيم للغاوين) ، (وإذا الجنة أزلفت) قربت من المؤمنين ليدخلوها ، كقوله : (وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد) ، وجواب (إذا) في أول السورة وما عطف عليها قوله : (علمت نفس) أي كل نفس وقت هذه المذكورات ، وهو يوم القيامة (ما أحضرت) من خير وشر ، كقوله : (يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا) .

(فلا أقسم) لا زائدة للتوكيد ، أي أقسم قسما مؤكدا (بالخنس) بالكواكب الرواجع مِن خَنَسَ إذا تأخر ، وهي ما سوى النيرين من الكواكب السيارات ، بينما ترى النجم في آخر البرج إذْ كرّ راجعاً إلى أوله ؛ ولذلك وصفها بقوله : (الجوار) أي السيارة ، وأصلها الجواري ، حذفت الياء تخفيفا (الكنس) التي تختفي في المواضع التي تغيب فيها ، من كنس الوحش إذا دخل كناسه ، وهو بيته المتخذ من أغصان الشجر (والليل إذا عسعس) أقبل بظلامه ، وقيل : أدبر ، وهو من الأضداد (والصبح إذا تنفس) امتد ضوؤه حتى يصير نهارا بينا (إنه) أي القرآن (لقول رسول كريم) على الله تعالى وهو جبريل ، أضيف إليه لنزوله به (ذي قوة) أي عظيمة، كقوله: (علمه شديد القوى) (عند ذي العرش) أي عند الله تعالى (مكين) ذي مكانة ومنزلة ، متعلق به (عند) ، (مطاع ثَمَّ) بفتح المثلثة هنالك ، أي تطيعه الملائكة في السموات (أمين) على وحي الله (وما صاحبكم) محمد ﷺ ، عطف على جواب القسم (بمجنون) كما زعمتم (ولقد رآه) رأى محمدٌ ﷺ جبريلَ على صورته التي خلق عليها (بالأفق) بناحية المشرق (المبين) البين (وما هو) محمد ﷺ (على الغيب) ما غاب من الوحي وخبرِ السماء (بضنين) بالضاد أي ببخيل فينتقص شيئا منه ، وفي قراءة : بالظاء أي بمتهَم (وما هو) أي القرآن (بقول شيطان) مسترق السمع (رجيم) مرجوم ، كقوله : (وما تنزلت به الشياطين . وما ينبغي لهم وما يستطيعون . إنهم عن السمع لمعزولون) ، (فأين تذهبون) استضلال لهم ، والمعنى : بأي طريق تسلكون في إنكار القرآن وإعراضكم عنه ، كقولك لتارك الجادة : أين تذهب ؟ (إن هو) أي ما القرآن (إلا ذكر) عظة (للعالمين) الإنس والجن (لمن شاء منكم) بدل من العالمين بإعادة الجار ، وإبداله منهم لأنهم المنتفعون بالتذكير (

أن يستقيم) باتباع الحق (وما تشاؤون) الاستقامة على الحق (إلا أن يشاء الله) استقامتكم عليه (ربُّ العالمين) خالق الخلق ، ومالكهم ومدبر شؤونهم . والله تعالى أعلم .

سورة الانفطار

(مكية وآياتها ١٩)
بسم الله الرحمن الرحيم

(إذا السماء انفطرت) انشقت (وإذا الكواكب) وهي النجوم (انتثرت) تساقطت ، كقوله : (وإذا النجوم انكدرت) (وإذا البحار فُجِّرت) فُتح بعضها في بعض فصارت بحرا واحدا ، ثم توقد نارا ، كقوله : (وإذا البحار سجِّرت) (وإذا القبور بعثرت) قلِب ترابها ، وأُخرِج موتاها ، وجواب إذا وما عطف عليها قوله : (علمت نفس) أي كل نفس وقت هذه المذكورات ، وهو يوم القيامة (ما قدمت) من الأعمال خيرا كانت أو شرا (و) ما (أخرت) منها فلم تعمله (يا أيها الإنسان) الكافر (ما غرك بربك الكريم) أيُّ شيءٍ خدعك وجرأك على عصيانه ؟ قيل : جهله ، وقيل شيطانه ، وقيل : كرَمُه وسِتره تعالى (الذي خلقك) بعد أن لم تكن شيئا (فسوَّاك) جعلك مستوي الخلقة ، سالم الأعضاء (فعدلك) جعلك معتدل الخلق ، متناسب الأعضاء ، ليست يد أو رجل أطول من الأخرى ، ولا عين ولا أذن أكبر من الأخرى (في أيِّ صورة ما) زائدة (شاء ركبك) أي ركبك في أيِّ صورة شاءها (كلا) ردع عن الاغترار بكرم الله تعالى (بل تكذبون) يا كفارَ مكة (بالدين) بالجزاء على الأعمال ، إضراب إلى بيان ما هو السبب الأصلي في اغترارهم (وإن عليكم لحافظين) من الملائكة لأعمالكم (كراما) على الله (كاتبين) لها (يعلمون ما تفعلون) جميعه (إن الأبرار) المؤمنين الصادقين في إيمانهم (لفي نعيم) جنة (وإن الفجار) الكفار (لفي جحيم) نار محرقة (يصلونها) يدخلونها ويقاسون حرها (يوم الدين) الجزاء (وما هم عنها بغائبين) بمخرجين، لخلودهم فيها، كقوله : (وَمَا هُم بخارجين مِنهَا) (وما أدراك) أعلمك (ما يوم الدين) حقيقة أمره (ثم ما أدراك ما يوم الدين) كُرِّر للتأكيد والتهويل ، أيْ قد بلغ من الفخامة بحيث لا يمكنك إدراك كنهه ، ثم بين بعض صفاته بقوله : (يوم لا تملك نفس) مهما كانت (لنفس شيئا) من المنفعة (والأمر يومئذ) أي يوم الجزاء ، وهو القيامة (لله) وحده ، كقوله: (لمن الملك اليوم . لله الواحد القهار) ، والشفاعة إنما تكون فيه من بعد إذنه ، وذلك بخلاف الدنيا . والله تعالى أعلم .

سورة المطففين

(مدنية آياتها ٣٦)
بسم الله الرحمن الرحيم

(ويل) كلمة عذاب وهلاك (للمطففين) الذين يبخسون الناس في الكيل والوزن ، سمي بذلك لأن ما يبخس طفيف أي حقير، روى ابن ماجه عن ابن عباس ﷺ قال: لما قدم النبي ﷺ المدينة كانوا من أخبث الناس كيلا ، فأنزل الله عز وجل : (ويل للمطففين) فأحسنوا الكيل بعد ذلك [صحيح ابن ماجه] (الذين إذا اكتالوا على) أي من (الناس) حقوقهم (يستوفون) يأخذونها وافية (وإذا كالوهم) أي كالوا لهم (أو وزنوهم) أي وزنوا لهم حقوقهم (يخسرون) ينقصون الكيل أو الوزن ، وفي حديث الطبراني : (ولا طفَّفوا المكيال إلا مُنِعوا النبات ، وأُخذوا بالسنين) [صحيح الترغيب] (ألا) استفهام توبيخ (يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم) أي فيه ، وهو يوم القيامة ، يجازون فيه على تطفيفهم ، عظَّمه لعِظَم ما يكون فيه ، فإن من ظن ذلك لم يتجاسر على أمثال هذه القبائح ، فكيف بمن تيقنه ، وفيه إنكار وتعجيب من

حالهم (يوم) بدل من محل(ليوم) فناصبه مبعوثون (يقوم الناس) من قبورهم (لرب العالمين) الخلائق ؛ لأجل أمره وحسابه وجزائه (كلا) حقا ، وقيل : ردع عن التطفيف والغفلة عن البعث والحساب (إن كتاب) صحائف أعمال (الفجار) الكفار (لفي سجين) وهو كتاب جامع لأعمال الفجرة من الثقلين، كما قال: (وما أدراك ما سجين) ما كتاب سجين (كتاب مرقوم) مختوم ، وقيل : هو مكان موحش أسفل الأرض السابعة وهو محل إبليس وجنوده ، والمعنى : أن ما كتب من أعمال الفجار مثبت في ذلك الديوان ، وسمي سجيناً من السجن وهو الحبس والتضييق ؛ لأنه سبب الحبس والتضييق في جهنم ، أو لأنه مطروح تحت الأرض السابعة في مكان وحش مظلم (ويل يومئذ) يوم يخرج هذا المكتوب (للمكذبين) بالحق ، ومنه البعث ، ولهذا قال : (الذين يكذبون بيوم الدين) الجزاء ، بدل أو بيان للمكذبين (وما يكذب به) بذلك اليوم (إلا كل معتد) مجاوز للحد (أثيم) صيغة مبالغة ، كثير الإثم (إذا تتلى عليه آياتنا) القرآن (قال) من فرط جهله هي (أساطير الأولين) الحكايات التي سُطِّرت قديما ، جمع أسطورة بالضم (كلا) ردع وزجر لقولهم ذلك (بل ران) غلب (على قلوبهم) فغشيها (ما كانوا يكسبون) من المعاصي فهو كالصدأ (كلا) حقا (إنهم عن) رؤية (ربهم يومئذ) يوم القيامة (لمحجوبون) لممنوعون ، بخلاف المؤمنين فإنهم يرون ربهم كما يرون القمر ليلة البدر (ثم إنهم) بعد كونهم محجوبين عن ربهم (لصالوا الجحيم) لداخلو النار المحرقة (ثم يقال) لهم : (هذا) أي العذاب (الذي كنتم به تكذبون) به في الدنيا (كلا) ردع عن التكذيب (إن كتاب) صحائف أعمال (الأبرار) المؤمنين المطيعين الذين يؤمنون بالبعث ولا يطففون ؛ لذكرهم في مقابلة الفجار (لفي عليين) هو كتاب جامع لأعمال الخير من الملائكة ومؤمني الثقلين ، وقيل : هو مكان في السماء السابعة تحت العرش ، سُمِّي به لأنه سبب الارتفاع إلى أعالي الدرجات في الجنة ، أو لأنه مرفوع في السماء السابعة (وما أدراك) أعلمك (ما عليون) ما كتاب عليين ؟ (كتاب مرقوم) مختوم (يشهده) يحضره (المقربون) من الملائكة .

(إن الأبرار لفي نعيم) تنعُّم في الجنان (على الأرائك) السرر في الحجال ، أي القباب (ينظرون) ما أعطوا من النعيم (تعرف في وجوههم نضرة النعيم) بهجة التنعُّم وحُسنَه (يسقون من رحيق) خمر خالصة من الدنس (مختوم) على إنائها لا يَفُك خَتْمَه غيرُهم (ختامه مسك) أي تختم أوانيه بمسك بدل الطين الذي يختم به الشراب في الدنيا ، أو آخر شربه تفوح منه رائحة المسك (وفي ذلك فليتنافس المتنافسون) فليرغبوا بالمبادرة إلى طاعة الله (ومزاجه) أي ما يمزج به (من تسنيم) فسر بقوله : (عينا) ونصبه بأمدح مقدرا ، سميت تسنيماً لارتفاع مكانها ، أو رفعة شرابها (يشرب) يلتذ (بها المقربون) أو يشرب منها ، فتكون للمقربين صِرفاً ، وتمزج لأصحاب اليمين ، وفي سورة الإنسان : (إِنَّ الأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا . عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا) .

(إن الذين أجرموا) كأبي جهل ونحوه (كانوا) في الدنيا (من الذين آمنوا) كعمار وبلال ونحوهما (يضحكون) استهزاء بهم (وإذا مروا) أي المؤمنون (بهم) بالمجرمين (يتغامزون) يشير بعضهم إلى بعض بالعين طعناً فيهم وعيباً (وإذا انقلبوا) رجعوا (إلى أهلهم انقلبوا فكهين) متلذذين بذكرهم والسخرية منهم ، وفي قراءة : (فاكهين) أي فرحين (وإذا رأوهم) أي رأوا المؤمنين (قالوا إن هؤلاء لضالون) لإيمانهم بمحمد ﷺ ، قال تعالى : (وما أرسلوا) أي هؤلاء المجرمون (عليهم) على المؤمنين (حافظين) يحفظون عليهم أحوالهم ، ويرقبون أعمالهم ، بل أمروا بإصلاح أنفسهم ، فاشتغالهم بذلك أولى بهم من تتبع غيرهم ، وتسفيه أحلامهم (فاليوم) أي يوم القيامة (الذين آمنوا من الكفار يضحكون على الأرائك) في الجنة (ينظرون) من منازلهم إلى الكفار وهم يعذبون ، فيضحكون منهم كما ضحك الكفار منهم في الدنيا (هل ثُوِّب الكفار ما كانوا يفعلون) أي هل جُوزوا بسخريتهم بالمؤمنين في الدنيا إذا فعل بهم ما ذكر ؟ نعم . والله تعالى أعلم .

(سـورة الانشـقـاق)

(مكية وآياتها ٢٥)
(بسم الله الرحمن الرحيم)

(إذا السماء انشقت) تصدعت بالغمام ، كقوله : (وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السماء بالغمام) (وأذنت لربها) أي سمعت له وأطاعت بالانشقاق ، ولم تمتنع (وحُقت) أي وحُقَّ لها أن تسمع وتطيع ؛ لأنها مربوبة لله (وإذا الأرض مدت) بسطت ، كما يمد الأديم ، ولم يبق عليها بناء ولا جبل ، كقوله : (ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا . فيذرها قاعا صفصفا . لا ترى فيها عوجا ولا أمتا)، (وألقت ما فيها) رمت ما في جوفها من الكنوز والموتى إلى ظاهرها (وتخلت) عنه ، حتى لم يبق شيء في باطنها (وأذنت لربها) سمعت وأطاعت له في الإلقاء والتخلي (وحُقت) وحُق لها بأن تنقاد ولا تمتنع، وذلك كله يكون يوم القيامة، وجواب (إذا) وما عطف عليها محذوف دل عليه ما بعده، تقديره: لقي الإنسان كدحه أي عمله (يا أيها الإنسان إنك كادح) جاهد في سعيك (إلى) لقاء (ربك) وذلك بالموت (كدحا فملاقيه) أي ملاق ربك يوم القيامة بعملك المذكور من خير أو شر (فأما من أوتي كتابه) كتاب عمله (بيمينه) هو المؤمن (فسوف يحاسب حسابا يسيرا) سهلاً لا يناقش فيه ، وإنما يعرض عليه عمله ، فيجازى على الحسنات ، ويتجاوز عن السيئات كما في حديث الصحيحين وفيه (من نوقش الحساب هلك) (وينقلب إلى أهله) في الجنة من الحور العين وغيرهن (مسرورا) فرحا بذلك (وأما من أوتي كتابه وراء ظهره) هو الكافر يؤتى كتابه بشماله من وراء ظهره (فسوف يدعو) عند رؤيته ما فيه (ثبورا) ينادي هلاكه بقوله : يا ثبوراه ، قال تعالى : (لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا) (ويصلى سعيرا) يدخل النار الشديدة ويقاسي حرها (إنه كان في أهله) عشيرته في الدنيا (مسرورا) بطرا باتباعه لهواه (إنه ظن أن لن يحور) يرجع إلى ربه لإنكاره البعث (بلى) يرجع إليه (إن ربه كان به) وبأعماله (بصيرا) عالماً فلا يهمله ، بل يرجعه ويجازيه (فلا أقسم) لا زائدة للتوكيد ، أي فأقسم قسما مؤكدا (بالشفق) وهو الحمرة في الأفق بعد غروب الشمس (والليل وما وسق) جمع وضم ما دخل عليه من الدواب وغيرها (والقمر إذا اتسق) اجتمع وتم بدراً (لتركبُنَّ) أيها الناس (طبقا عن طبق) حالا بعد حال ، وهو الموت ثم الحياة وما بعدها من أحوال القيامة (فما لهم) أي الكفار (لا يؤمنون) أيْ أيُّ مانع لهم من الإيمان مع وجود براهينه (و) مالهم (إذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون) لا يخضعون (بل الذين كفروا يكذبون) بالبعث وغيره (والله أعلم بما يوعون) بما يجمعون في صدورهم ويضمرون من الكفر والعداوة ، أو بما يجمعون في صحفهم من أعمال السوء ويدخرون لأنفسهم من أنواع العذاب (فبشرهم) أخبرهم (بعذاب أليم) مؤلم (إلا) لكن (الذين آمنوا) بما يجب الإيمان به (وعملوا) الأعمال (الصالحات لهم أجر غير ممنون) غير مقطوع ولا منقوص ، بل دائم كامل ، ولا يمن به عليهم . والله تعالى أعلم .

(سـورة البروج)

(مكية وآياتها ٢٢)
(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والسماء ذات البروج) النجوم العظام ، والمنازل المعروفة وهي اثنا عشر ، تقطعها الشمس في السنة (واليوم الموعود) يوم القيامة (وشاهد) في ذلك اليوم (ومشهود) فيه ، أي وكلِّ راء ومرئي في ذلك اليوم ، أو كلِّ شاهد على أحد ، ومشهود عليه ، كيوم الجمعة وعرفة ، وكالرسول شاهد ، وأمته مشهود عليها، وجواب القسم صدره محذوف تقديره : لقد (قُتل) لُعن (أصحاب الأخدود) الشق في الأرض (النار) بدل اشتمال منه (ذات الوَقود) ما توقد به ، وهو وصف لها بأنها نار عظيمة ، لها ما يرتفع به

لهبها من الحطب الكثير وأبدان الناس (إذ هم عليها) حولها على جانب الأخدود على الكراسي (قعود) قاعدون (وهم على ما يفعلون بالمؤمنين) بالله من تعذيبهم بالإلقاء في النار إن لم يرجعوا عن إيمانهم (شهود) حضور (وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا) أي وما عابوا منهم ، وما أنكروا عليهم إلا إيمانهم (بالله العزيز) الغالب في ملكه (الحميد) المحمود من خلقه على كمال صفاته وسابغ نعمه (الذي له ملك السموات والأرض والله على كل شيء شهيد) وعيد لهم يعني: أنه علم ما فعلوا ، وهو مجازيهم عليه (إنَّ الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات) بلَوهم بالإحراق (ثم لم يتوبوا) لم يرجعوا عن كفرهم (فلهم) في الآخرة (عذاب جهنم) بكفرهم (ولهم عذاب الحريق) أي عذاب إحراقهم المؤمنين ، فيكون للفاتنين عذابان في الآخرة : لكفرهم ولفتنتهم (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات) ومنهم الذين صبروا على تعذيب الأخدود (لهم جنات) بساتين (تجري من تحتها) تحت قصورها وأشجارها (الأنهار) من الماء واللبن والخمر والعسل (ذلك الفوز الكبير) لأن به نيلَ كلّ مطلوب ، والنجاة من كلّ مرهوب ، والدنيا وما فيها تصغر دونه (إن بطش ربك) بالكفار والظلمة (لشديد) مضاعف ، والبطش الأخذ بعنف ، فإذا وصف بالشدة فقد تضاعف وتفاقم (إنه هو يبدئ) الخلق (ويعيد)ه مرة أخرى ، كقوله : (وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه) ، (وهو الغفور) الساتر للعيوب ، والعافي عن الذنوب ، لمن تاب من المذنبين (الودود) المحب لأوليائه المؤمنين (ذو العرش) خالقه ومالكه (المجيدُ) العظيم في ذاته وصفاته (فعال لما يريد) لا يعجزه شيء ، بل (هو على كل شيء قدير) .

(هل أتاك) يا محمد (حديث الجنود) استفهام تقرير، أي قد أتاك خبر الجموع الطاغية في الأمم الخالية (فرعون وثمود) بدل من الجنود ، واستغنى بذكر فرعون عن أتباعه ، وحديثهم هو أنهم أهلكوا بكفرهم ، وهذا تنبيه لمن كفر بالنبي ﷺ والقرآن ليتعظوا (بل الذين كفروا في تكذيب) بما ذكر (والله من ورائهم محيط) لا يفوتونه (بل هو) أي الذي كذبوا به (قرآن مجيد) عظيم شريف عال القدر (في لوح) فوق السماء السابعة (محفوظ) من الشياطين ومن التحريف ، كقوله : (وما تنزلت به الشياطين . وما ينبغي لهم وما يستطيعون . إنهم عن السمع لمعزولون) ، وقوله : (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) . والله تعالى أعلم .

(سورة الطارق)

(مكية وآياتها ١٧)
(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والسماء والطارق) أصله كل آت ليلا ، ومنه النجم لطلوعه ليلا (وما أدراك) أعلمك (ما الطارق) استفهام تفخيم ثم فسره بقوله : (النجم الثاقب) أي المضيء ، كأنه يثقب الظلام بضوئه فينفذ فيه ، ووصف بالطارق لأنه يبدو بالليل، كما يقال : للآتي ليلاً طارق ، أو لأنه يطرق الجنيَّ أي يصكُّه ، كقوله : (وجعلناها رجومًا للشياطين)، وجواب القسم: (إن) ما (كلُّ نفسٍ لمَّا) إلا (عليها حافظ) من الملائكة يحفظها من الآفات ، ويحفظ عملها من خير وشر ، كقوله : (وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً) ، وقوله : (وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ) ، (فلينظر الإنسان) نظر اعتبار (ممَّ) أصلها : (مِن) الجارة ، و(ما) الاستفهامية ، حذفت ألفها للجر ، أي من أيِّ شيء (خُلِق) ، ثم بينه بقوله : (خُلِق من ماء دافق) ذي دفق ، بمعنى مدفوق ، أي مصبوب في رحم المرأة (يخرج من بين الصلب) أي صلب الرجل ، وهو عظم ظهره (والترائب) أي ترائب المرأة ، وهي عظام صدرها ، ثم إنه لما ذكر أن كل نفس عليها حافظ اتبعه توصية الإنسان بالنظر في مبدئه ليعلم صحة إعادته ، فلا يملي على حافظه إلا ما يسرّه في عاقبته ، ولهذا قال : (إنه) أي الخالق (على رجعه) إعادته بعد موته (لقادر) لبيّن القدرة لا يعجز عنه (يوم تبلى) تختبر وتكشف (السرائر) ضمائر القلوب وما فيها من العقائد والنيات ، وما أخفي من أعمال الجوارح (فما له)

لمنكر البعث (من قوة) في نفسه يمتنع بها من العذاب (ولا ناصر) يعينه ويدفعه عنه (والسماءِ ذات الرجع) المطر لعوده كل حين (والأرض ذات الصدع) الشق عن النبات (إنه) أي القرآن (لقول فصل) يفصل بين الحق والباطل ، كما قيل له : فرقان (وما هو بالهزل) باللعب والباطل ، بل كله جد (إنهم) أي الكفار (يكيدون كيدا) في إبطاله وإطفاء نوره (وأكيد كيدا) أستدرجهم من حيث لا يعلمون ، وأنتقم منهم من حيث لا يحتسبون (فمهِّل) يا محمد (الكافرين) تأنَّ بهم ، ولا تستعجل بإهلاكهم (أمهلهم) تأكيد حسَّنه مخالفة اللفظ، أي أنظرهم (رويدا) أمهالاً يسيراً، وقد أخذهم الله تعالى ببدر . والله تعالى أعلم .

(سورة الأعلى)

(مكية وآياتها ١٩)
(بسم الله الرحمن الرحيم)

(سبح اسم ربك) أمر للنبي ﷺ ، وأمته تبع له فيه ، أي نزه أسماء الله تعالى وصفاته عما لا يليق بها ، من كل نقص وعيب (الأعلى) صفة ، وهو الذي له العلو المطلق : علو القدر والقهر والذات ، فكان ﷺ يقول في سجوده : سبحان ربي الأعلى (الذي خلق) كل شيء (فسوى) خلقه فجعله متناسب الأجزاء ، غير متفاوت ، كقوله : (الذي خلقك فسواك فعدلك) ، (والذي قدَّر) ما شاء (فهدى) إلى ما قدره من خير وشر ، كقوله : (قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى) ، (والذي أخرج المرعى) أنبت العشب (فجعله) بعد الخضرة (غثاء) جافا هشيما (أحوى) أسود يابسا (سنقرئك) القرآن (فلا تنسى) ما تقرؤه من قوَّة الحفظ مع أنَّك أمِّي (إلا ما شاء الله) أن تنساه بنسخ تلاوته ، كقوله : (ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها) ، وقد كان ﷺ يقرأ مع قراءة جبريل خوف النسيان ، فنهاه الله عن ذلك ، ووعده بأن يجمعه له ، فيحفظه ولا ينساه ، فقال : (لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه) ، وقال : (ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه وقل رب زدني علما) ، (إنه) تعالى (يعلم الجهر) من القول والفعل (وما يخفى) منهما ، ومنه أعمال القلوب (ونيسرك لليسرى) للشريعة السهلة وهي الإسلام (فذكر) عِظ بالقرآن (إن نفعت الذكرى) هو أمر بالتذكير على الإطلاق كقوله : (فذكر إنما أنت مذكر) غير مشروط بالنفع ، ويشهد له : (قالوا معذرة إلى ربِّكم) ، وإنما ذكر الشرط لذم المذكورين واستبعاد تأثير الذكرى فيهم ، وقيل: الشرطية للإشعار بأن التذكير إنما يجب إذا ظن نفعه؛ ولذلك أمر بالإعراض عمن تولى ، والأول أولى (سيذكر) سيتعظ وينتفع بها من (يخشى) يخاف الله تعالى ، كآية (فذكر بالقرآن من يخاف وعيد) (ويتجنبها) أي الذكرى ، بحيث يتركها جانبا لا يلتفت إليها (الأشقى) الكافر فإنه أشقى من الفاسقِ (الذي يصلى النار الكبرى) هي نار الآخرة، والتي تفضل على نار الدنيا الصغرى بتسع وستين جزءاً (ثم لا يموت فيها) فيستريح (ولا يحيا) حياة هنيئة، بل حياة الشقاء الأبدي ، كقوله : (لا يُقضَى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها) ، (قد أفلح) فاز بالمطلوب، ونجا من المرهوب (من تزكى) تطهر بالإيمان والطاعة (وذكر اسم ربه) مكبرا (فصلى) الصلوات الخمس ، وذلك من أمور الآخرة ، وكفار مكة معرضون عنها (بل تؤثرون) تفضلون (الحياة الدنيا) على الآخرة (والآخرة) المشتملة على الجنة ورضوان الله تعالى (خير) أفضل (وأبقى) أدوم من الدنيا ، قال رسول الله ﷺ : (لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء) رواه الترمذي وابن ماجه [صحيح الترمذي] ، وقال الفضيل : لو كانت الدنيا من ذهب يفنى ، والآخرة من خزف يبقى لكان ينبغي لنا أن نختار خزفا يبقى على ذهب يفنى ، فكيف وقد اخترنا خزفا يفنى على ذهب يبقى ؟ (إن هذا) أي إفلاح من تزكى ، وكون الآخرة خيرا (لفي الصحف الأولى) أي المنزَّلة قبل القرآن (صحف إبراهيم وموسى) وهي عشر صحف لإبراهيم ، والتوراة لموسى عليهما الصلاة والسلام . والله تعالى أعلم .

(سورة الغاشية)

(مكية وآياتها ٢٦)
(بسم الله الرحمن الرحيم)

(هل) استفهام تقرير ، أي قد (أتاك حديث الغاشية) القيامة ؛ لأنها تغشى الخلائق بأهوالها (وجوه يومئذ) وهي وجوه الكفار (خاشعة) ذليلة (عاملة ناصبة) تعمل في الآخرة أعمالا ذات تعب ومشقة ، بجر السلاسل والأغلال وخوضها في النار ، وقيل : عملت في الدنيا أعمال السوء ، وهي في نصب منها في الآخرة ، كقوله : (قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا) (تصلى نارا) تدخلها وتذوق عذابها (حامية) متناهية في الحر (تسقى من عين آنية) شديدة الحرارة ، والتأنيث في هذه الصفات والأفعال راجعة إلى الوجوه ، والمراد أصحابها بدليل قوله : (ليس لهم طعام إلا من ضريع) هو نوع من الشوك لا ترعاه دابة لخبثه ، إذ هو سم قاتل ، والعذاب ألوان ، والمعذبون طبقات ، فمنهم أكلة الزقوم ، ومنهم أكلة الغسلين ، ومنهم أكلة الضريع ، فلا تعارض بين هذه الآية وبين قوله : (وَلاَ طَعَامٌ إِلاَّ مِنْ غِسْلِينٍ)، وقوله : (إن شجرة الزقوم طعام الأثيم) ونحوها ، (لا يسمن ولا يغني من جوع) أي منفعتا الغذاء منتفيتان عنه ، وهما إماطة الجوع ، وإفادة السِمَن في البدن (وجوه يومئذ ناعمة) بهجة حسنة من أثر النعمة ، وهي وجوه المؤمنين (لسعيها) لأجل عملها في الدنيا بالطاعة (راضية) في الآخرة ، لَمَّا رأت ثوابه (في جنة عالية) قدرا ومكانا (لا تسمع فيها) في الجنة (لاغية) لغواً أو نفساً تلغو ، فإن كلام أهل الجنة الذكر والحِكَم (فيها عين) عيون كثيرة (جارية) بالماء لا ينقطع (فيها سرر) جمع سرير (مرفوعة) رفيعة القدر والسمك والمحل ؛ ليرى المؤمن ـ بجلوسه عليها ـ جميع ما وهبه ربه من الملك والنعيم (وأكواب) جمع كوب ، وهي آنية لا عروة لها ، والعروة : المقبض (موضوعة) بين أيديهم معدة لشربهم (ونمارق) وسائد جمع نُمْرُقة (مصفوفة) بعضها بجنب بعض يستند إليها (وزرابي) بُسط فاخرة لها خمل جمع زريبة (مبثوثة) مبسوطة ، أو مفرقة في المجالس .

(أفلا ينظرون) أي كفار مكة نظر اعتبار (إلى الإبل كيف خلقت) خلقاً دالاً على كمال قدرته وحسن تدبيره (وإلى السماء كيف رفعت) رفعا بعيدا بلا عمد (وإلى الجبال كيف نصبت) فهي راسخة لا تميل (وإلى الأرض كيف سطحت) بسطت حتى صارت مهاداً ، وهذا لا ينافي كرويتها لعظيم سعتها ، فيستدلون بهذه الأشياء على وحدانية الله تعالى ، وقدرته على البعث ، وتخصيص هذه الأربعة باعتبار أن هذا خطاب للعرب ، وفيها حث لهم على الاستدلال ، والمرء إنما يستدل بما تكثر مشاهدته له ، والعرب تكون في البوادي ، ونظرهم فيها غالبا إلى هذه الأربعة ، والإبل هي أعز أموالهم ، وهم لها أكثر استعمالاً منهم لسائر الحيوانات ، ولأنها تجمع جميع المآرب المطلوبة من الحيوان ، وهي النسل والدر والحمل والركوب والأكل بخلاف غيرها ، ولأن خلقها أعجب من غيرها ، فإنه سخرها منقادة لكل من اقتادها بأزمتها لا تعاز ضعيفاً ، ولا تمانع صغيراً ، وجعلها ترعى كل نابت في البراري مما لا يرعاه سائر البهائم ، وخلقها طوال الأعناق لتنوء بالأوقار ، وجعلها بحيث تبرك حتى تحمل عن قرب ويسر ، ثم تنهض بما حملت ، وتجرها إلى البلاد الشاحطة ، وصبرها على احتمال العطش إلى عشر فصاعداً ليتأتى بها قطع المفاوز ، وتنفعل للبسط ، وتجدُّ في سيرها فتتأثر بالصوت الحسن جداً ، ومن عجائبها أنها لا تكذب أصلاً ، فإنها لا تبرك عجزاً عن الحمل إلا وليس فيها من القوى شيء ، فهي سفن البر مع ما لها من منافع أخر (فذكر)هم نعم الله ، ودلائل توحيده (إنما أنت مذكر) كقوله : (وما على الرسول إلا البلاغ المبين) (لست عليهم بمسيطر) أي بمتسلط ، كقوله : (ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء) ، وقوله : (أفأنت تكره

الناس حتى يكونوا مؤمنين) ، (إلا) لكن (من تولى) أعرض عن الإيمان (وكفر) بالقرآن (فيعذبه الله العذاب الأكبر) عذاب الآخرة ، والأصغر عذاب الدنيا ، بالقتل والأسر (إن إلينا إيابهم) رجوعهم بعد الموت ، وفائدة تقديم الظرف: التشديد في الوعيد، وبيان أن إيابهم ليس إلا إلى الجبَّار المقتدر على الانتقام (ثم إن علينا حسابهم) وجزاءهم على أعمالهم، لا نتركه أبدا ، وفي الحديث القدسي : (يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ، ثم أوفيكم إياها ، فمن وجد خيرا فليحمد الله ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه) رواه مسلم . والله تعالى أعلم .

(سورة الفجر)

(مكيَّة وآياتها ٣٠)
(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والفجر) أقسم الله تعالى بالصبح كقوله : (والصُّبح إذَا أسفر) (وليال عشر) أي عشر ذي الحجة ، أو عشر رمضان الأخير ، ونُكِّرت للتعظيم (والشفع) الزوج (والوَتر) بفتح الواو الفرد ، وفي قراءة بكسرها ، وهما لغتان كالجَبر والجِبر ، وهو قسم بالأشياء كلِها شفعها ووترها ، أو بالخلق والخالق ؛ لقوله : (وَمِن كُلّ شَيْء خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ) وقول النبي ﷺ : (إن الله وِتر يُحبُّ الوتر) متفق عليه ، وبعد ما أقسم بالليالي المخصوصة أقسم بالليل على العموم فقال : (والليل إذا يسر) حذفت منه الياء، وأصله يسري أي يذهب ويمضي ، كقوله : (والليل إذ أَدْبَرَ) (هل في ذلك) فيما أقسمتُ به من هذه الأشياء (قَسَم) مقنع (لذي حِجر) صاحب عقل ، كأنه يقول : إن هذا لقسم عظيم عند ذوي العقول ، وسُمِّي به لأنه يحجر عن الوقوع فيما لا ينبغي ، كما سُمِّيَ عَقْلاً ونُهَية ؛ لأنه يعقل وينهى ، والمقسم عليه مَحذوف تقديره : ليعذبن أي الكفار ، يدل عليه ما بعده ، وهو تعذيب الأمم التي كذبت الرسل ، ولهذا قال : (ألم تر) تعلم يا محمد (كيف فعل ربك بعاد) أي الأولى وهم قوم هود (إرم) عطف بيان لـ (عاد) وإيذان بأنهم عاد الأولى ، ومنع من الصرف للعلمية والتأنيث ، ومن بعدهم ثمود وهي عاد الأخيرة ، كقوله : (وأنه أهل عادا الأولى . وثمود فما أبقى) ، (ذات العماد) أي الطول، والمعنى : أنهم كانوا بدويين أهل خيام ذات عمد ، أو طوال الأجسام على تشبيه قدودهم بالأعمدة ، قيل : كان طول الرجل منهم أربعمائة ذراع ، وإن كانت صفة للبلدة فالمعنى : أنها ذات أساطين (التي لم يخلق مثلها في البلاد) أي مثل عاد في قوتهم وطول قامتهم ، ولهذا قالوا : (من أشدُّ منَّا قوَّة) ؟ ، أوْ لم يخلق مثل مدينتهم في جميع بلاد الدنيا (وثمود الذين جابوا) قطعوا (الصخر) جمع صخرة ، وهي صخر الجبال فقد نحتوها واتخذوها بيوتا، كقوله: (وَتَنْحِتُونَ مِنَ الجبال بُيُوتاً) (بالواد) وادي القرى (وفرعون ذي الأوتاد) جمع وَتِد، وهو عود غليظ يدقّ في الأرض ليشد به الحبل العظيم الذي تشد به الخَيمة ، سمي بذلك لكثرة جنوده ومضاربهم التي كانوا يضربونها إذا نزلوا ، أو لتعذيبه من خالفه بالأوتاد ، قيل : كان يتد أربعة أوتاد يشد إليها يدي ورجلي من يعذبه، وهو التصليب (الذين) في محل جر صفة للمذكورين: عاد وثمود وفرعون (طغوا في البلاد) تجاوزوا الحد (فأكثروا فيها الفساد) بالكفر والظلم والقتل وغيره (فصب عليهم ربك سوط عذاب) أي عذبوا عذاباً مؤلماً دائماً ، إذ الصَّبُّ يُشعر بالدَّوام ، والسَّوط بزيادة الإيلام (إن ربك لبالمرصاد) يرصد أعمال العباد ـ أي يرقبها ـ فلا يفوته منها شيء ؛ ليجازيهم عليها (فأما الإنسان) الكافر (إذا ما ابتلاه) اختبره (ربه فأكرمه ونعمه) بالجاه والمال وغيره ، لينظر هل يشكر أم يكفر ؟ (فيقول) لقصور نظره (ربي أكرمن) فضَّلني بما أعطاني (وأما إذا ما ابتلاه فقدر) ضيق (عليه رزقه) بأن أفقره ، لينظر هل يصبر أم يجزع ؟ كقوله: (وَنَبْلوكُم بالشرِّ والخير فِتْنَةً)، (فيقول ربي أهانن) أذلني (كلا) ردع ، أي ليس الإكرام بالغنى ، والإهانة بالفقر ، وإنما هو بالطاعة والمعصية ، كقوله : (قد أفلح من زكاها . وقد خاب من دساها) ، والكفار لا ينتبهون لذلك ، ولهذا قال : (بل لا تكرمون اليتيم) وهو من توفي أبوه قبل

بلوغه ، أي لا تحسنون إليه مع غناكم ، ولا تعطونه حقه من الميراث ونحوه (ولا تحاضُّون) أنفسَكم أو غيركم ، والحض هو : الحث على الشيء والترغيب فيه (على طعام) أي إطعام (المسكين) المحتاج الذي لا يجد قدر كفايته (وتأكلون التراث) الميراث (أكلا لمًّا) أي ذا لَمٍّ ، وهو الجمع بين الحلال والحرام، فإنهم كانوا لا يورِّثون النساء والصبيان، ويأكلون ميراثهم مع ميراثهم (وتحبون المال حبا جما) أي شديدا مع الحرص ومنع الحقوق ، كقوله : (وإنه لحبّ الخير لشديد) (كَلاَّ) ردع لهم عن ذلك ، وإنكار لفعلهم ، وما بعده وعيد عليه (إِذَا دُكَّتِ الأرض دَكّا دَكّاً) أي دكا بعد دك ، فتزلزل حتى ينهدم كل بناء عليها وينعدم (وجاء ربك) مجيئا حقيقيا ، يليق بجلاله وعظيم سلطانه ، لا نعلم كيفيته (والملَك) أي الملائكة (صفا صَفا) حال ، أي ذوي صفوف كثيرة ، صفاً بعد صف محدقين بالخلائق ، كقوله : (هَلْ يَنْظُرُونَ إلا أَنْ تَـأْتِيَهُمُ الْمَلائِكَـةُ أَوْ يَـأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَـأْتِيَ بَعْضُ آيَـاتِ رَبِّكَ) (وجيء يومئذ) يوم القيامة (بجهنم) (لها سبعون ألف زمام ـ أي مقبض ـ مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها) ، يُسمع لها تغيظ وزفير (يومئذ) بدل من (إذا دُكَّت) وجوابها : (يتذكر الإنسان) أي الكافر ما نسيه مما فرط فيه ، كقوله: (أحصاه الله ونسوه) فيندم ، (و) لكن (أنى) أي ومن أين (له) منفعة (الذكرى) استفهام بمعنى النفي ، أي لا ينفعه تذكره ذلك (يقول) حين تذكره (يا) للتنبيه (ليتني قدمت) الإيمان والعمل الصالح (لحياتي) الطيبة في الآخرة، أو وقت حياتي في الدنيا (فيومئذ لا يعذب) بكسر الذال (عذابه) أي عذابَ الله (أحد) من الخلق ، والمعنى : أن الله يتولى عذاب الكفار بنفسه ، ولا يكله إلى أحد غيره (و) كذلك (لا يوثق) بكسر الثاء، أي لا يقيِّد بالسلاسل والأغلال (وَثاقه أحد)، وفي قراءة بفتح الذال والثاء، فضمير عذابه ووثاقه للكافر ، والمعنى : لا يعذِّب أحد مثل تعذيب الكافر ، ولا يوثَق مثل إيثاقه (يا أيتها النفس المطمئنة) الآمنة وهي المؤمنة (ارجعي إلى ربك) يقال لها ذلك عند الموت ، أي ارجعي إلى لقائه تعالى وإكرامه (راضية) بثوابه (مرضية) عند الله بعملك ، أي جامعة بين الوصفين ، وهما حالان ، ويقال لها في القيامة : (فادخلي في) جملة (عبادي) الصالحين ، فانتظمي في سلكهم (وادخلي جنَّتي) معهم بفضل الله الكريم ، ورحمة أرحم الراحمين ، جعلنا الله منهم بمنِّه وإحسانه ، إنه جواد كريم ، برٌّ رَحيم . والله تعالى أعلم .

(سُورَةُ الْبَلَدِ)

(مكية وآياتها ٢٠)
(بسم الله الرحمن الرحيم)

(لا) زائدة للتوكيد أي (أقسم) قسما مؤكدا (بهذا البلد) مكة (وأنت) يا محمد (حل) أي حال (بهذا البلد) قيده بحلول الرسول ﷺ فيه إظهاراً لمزيد فضله ، وإشعاراً بأن شرف المكان بشرف أهله ، وقيل : مستحَلّ به ، أي وأنت على عِظم حرمتك تُستحَلُّ بمكة ، كما يُستحل الصيد في غير الحرم ، وقيل : وأنت حلال به ، بأن يحل لك فتقاتل فيه ، وقد أنجز الله له هذا الوعد يوم الفتح ، وأحلت له ساعة من نهار، والجملة اعتراض بين المقسم به وما عطف عليه (ووالد) أي آدم (وما ولد) أي ذريته ، وما بمعنى من ، والتنكير للتعظيم ، وجواب القسم : (لقد خلقنا الإنسان) أي جنسه (في كبد) نصب وشدة ، يكابد مصائب الدنيا وشدائد الآخرة ، وهو تسلية للرسول ﷺ مما كان يكابده من قريش (أيحسب) أيظن الإنسان بقوته (أن) مخففة من الثقيلة ، واسمها محذوف أي أنه (لن يقدر عليه أحد) فينتقم منه ، والمقصود به بعض صناديد قريش الذين كان رسول الله ﷺ يكابد منهم مكابدة شديدة (يقول أهلكت) أنفقت (مالا لبدا) كثيرا بعضه على بعض ، من تلبد الشيء إذا اجتمع ، والمراد ما أنفقه سمعة ومفاخرة ، أو معاداة للرسول ﷺ (أيحسب أن) أي أنه (لم يره أحد) فيما أنفقه ؟ فيحاسبه ثم يجازيه عليه ، كقوله : (إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله . فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم

يغلبون . والذين كفروا إلى جهنم يحشرون) ، ثم ذكر نِعَمَه عليه فقال : (ألم نجعل) وهو استفهام تقرير ، أي قد جعلنا (له عينين) يبصر بهما (ولسانا) يترجم به عن ضميره (وشفتين) يستر بهما فاه ، ويستعين بهما على النطق والأكل والشرب وغيرها (وهديناه النجدين) بيَّنا له طريق الخير والشر ، كقوله : (إِنَّا هَدَيْنَاهُ السبيل إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً) ، وأصل النجد المكان المرتفع (فلا) فهلا (اقتحم العقبة) جاوزها ، أي فلم يشكر تلك النعم باقتحام العقبة ، وهو الدخول في الأمر بشدة ومشقة ، وأصل العقبة الطريق في الجبل ، استعارها بما فسَّرها عزَّ وجلَّ به من الفكِّ والإطعام في قوله: (وما أدراك) أعلمك (ما العقبة) التي يقتحمها؟ تعظيما لشأنها ، والجملة اعتراض ، معناه : إنك لم تدر كنه صعوبتها على النفس ، وجزيل ثوابها عند الله ، ولذلك بيَّن سبب اقتحامها بقوله : (فك رقبة) من الرِّق بأن أعتقها ، أو من الأسر (أو إطعام في يوم ذي مسغبة) مجاعة (يتيما) وهو الصغير ، الذي مات أبوه قبل بلوغه (ذا مقربة) صاحب قرابة (أو مسكينا ذا) صاحبَ (متربةٍ) لصوق بالتراب لفقره (ثم كان) وقت الاقتحام (من الذين آمنوا) وجاء العطف هنا بثُمَّ لتباعد الإيمان عن العتق والإطعام في الرتبة ؛ لاستقلاله واشتراطه لسائر الطاعات (وتواصوا) أوصى بعضهم بعضا (بالصبر) عن المعاصي وعلى الطاعات ، والمحن التي يبتلى بها المؤمن (وتواصوا بالمرحمة) الرحمة على الخلق (أولئك) الموصوفون بهذه الصفات (أصحاب الميمنة) اليمين (والذين كفروا بآياتنا) بالقرآن أو بدلائلنا (هم أصحاب المشأمة) الشمال (عليهم نار مؤصدة) مطبقة مغلقة ، يقال : أوصدت الباب إذا أغلقته . والله تعالى أعلم .

(سورة الشمس)

(مكية وآياتها ١٥)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والشمس وضحاها) قسم بالشمس وضوئها إذا أشرقت أول النهار (والقمر إذا تلاها) تبعها طالعا عند غروبها (والنهار إذا جلاها) جلَّى الشمسَ ، فإنها تتجلى إذا انبسط النهار (والليل إذا يغشاها) أي يغشى الشمسَ فيغطي ضوءَها بظلمته (والسماء وما) أي ومن (بناها) وهو الله جل جلاله ، فهي موصولة وكذا ما بعدها (والأرض وما طحاها) ومَن بسَطها (ونفس) بمعنى نفوس ، كقوله : (علمت نفس) (وما سواها) أي في الخلقة ، فجعلها معتدلة غير متفاوتة (فألهمها فجورها وتقواها) بيَّن لها طريق الخير والشر ، وأفهمها أن الأول حسن والثاني قبيح ، وجواب القسم : (قد أفلح) أي لقد ، حذفت منه اللام لطول الكلام (من زكاها) طهرها من الذنوب، وحلاها بالطاعات (وقد خاب) خسر (من دسَّاها) أخفاها بالمعصية ، وأصل دسَّى دسَسَ ، والياء بدل من السين المكررة ، كقولهم : قَصَّيْت أظفاري ، وأصله قصَصْتُ (كذبت ثمود) رسولَها صالحا (بطغواها) بسبب طغيانها ، أو بما أُوعِدت به من عذابها ، كما في قوله : (فأهلكوا بالطاغية) ، (إذ انبعث) حين أسرع إلى عقر الناقة (أشقاها) أشقى ثمود ، وهو قُدَار ابن سالف (فقال لهم رسول الله) صالح (ناقة الله) أي ذروها واحذروا عقرها (وسقياها) أي شربَها في يومها فلا تذودوها عنه ، وكان لها يوم ولهم يوم (فكذبوه) أي صالحا فيما حذرهم منه من حلول العذاب إن فعلوا (فعقروها) قتلوا الناقة ليسلم لهم ماء شربها ، أسند الفعل إليهم وإن كان العاقر واحداً ـ كما في قوله : (فَنَادَوْا صاحبهم فتعاطى فَعَقَرَ) ـ لرضاهم به (فدمدم) أطبق (عليهم ربهم) العذاب واستأصلهم (بذنبهم) بسببه (فسواها) سوى الدمدمة عليهم ، أي عمهم بها ، فلم يفلت منهم أحد (ولا يخاف عقباها) عاقبتها أي تبعتها ، والمعنى : فعل ذلك سبحانه غير خائف أن تلحقه تبعة من أحد ، كما يخاف من يعاقِب من الملوك ؛ لأنه فعل في ملكه ، وهو الفعال لما يريد (لا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلونَ) . والله تعالى أعلم .

(سورة الليل)

(مكية وآياتها ٢١)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والليل إذا يغشى) قسم بالليل حين يغطي بظلمته ما بين السماء والأرض (والنهار إذا تجلى) ظهر وتبين بطلوع الشمس (وما) بمعنى من (خلق الذكر والأنثى) أي صنفي الذكر والأنثى من كل نوع له توالد (إن سعيكم) عملكم (لشتى) لمختلف ، فعامل للجنة بالطاعة ، وعامل للنار بالمعصية (فأما من أعطى) حق الله ، وحق الخلق (واتقى) الله فاجتنب محارمه (وصدق بالحسنى) أي بالخصلة الحسنة ، ومنها : لا إله إلا الله ، والجنة ، والخلَف على المنفق (فسنيسره لليسرى) أي فسنهيئه للخصلة التي تؤدي إلى يسر وراحة ، وهي فعل الخيرات وترك السيئات ، المؤدية إلى دخول الجنة (وأما من بخل) بالحقوق الواجبة عليه (واستغنى) عن ثواب الله تعالى (وكذب بالحسنى) ما تقدم ذكره (فسنيسره) نهيئه (للعسرى) للخَصلة المؤدية إلى العسر والشدة ، وهي الشر المؤدي إلى دخول النار (وما) نافية (يغني عنه ماله إذا تردى) أي ولم ينفعه ماله إذا هلك في النار ، ردٌّ على مثل قولهم : (نحن أكثر أموالا وأولادا وما نحن بمعذبين) ، (إن علينا للهدى) أي بيان طريق الحق ليُسلَك ، من طريق الضلال ليُترك ، كقوله : (وَعَلَى الله قَصْدُ السبيل) ، (وإن لنا للآخرة والأولى) أي الدنيا ، فنعطي في الدارين ما نشاء لمن نشاء ، فمن طلبهما من غيرنا فقد ضلَّ (فأنذرتكم) خوفتكم يا أهل مكة (نارا تلظى) أصلها تتلظى أي تتوقد وتتوهج (لا يصلاها) يدخلها الدخول الأبدي (إلا الأشقى) أي الكافر ، أما الفاسق فإنه وإن دخلها فلا يلزمها ؛ ولذلك سماه الأشقى ، أي من بلغ نهاية الشقاوة ، ووصفه بقوله : (الذي كذب) النبيَّ (وتولَّى) عن الإيمان (وسيجنبها) يُبعَد عنها (الأتقى) الذي اتقى الشرك والمعاصي ، وبلغ الكمال في ذلك ، فإنه لا يدخلها فضلاً عن التأبيد فيها ، ومفهوم ذلك أن من اتقى الشرك دون المعصية لا يجنبها ، ومع ذلك لا يلزم صليها الأبدي ، وفيه بطلان زعم المرجئة : لا يدخل النار إلا كافر (الذي يؤتي ماله يتزكى) متزكيا به عند الله تعالى ، بأن يخرجه لله تعالى لا رياء ولا سمعة ، نزل هذا في الصديق ﷺ لما اشترى بلالا المعذب على إيمانه ، وأعتقه فقال الكفار : إنما فعل ذلك ليد كانت له عنده، فنزلت (وما لأحد عنده من نعمة تجزى) يجازيه بها (إلا) لكن فعل ذلك (ابتغاء وجه ربه الأعلى) أي طلب ثواب الله (ولسوف يرضى) بما يُعطاه من الثواب في الجنة ، والآية تشمل من فعل مثل فعله ﷺ فيبعد عن النار ، ويثاب حتى تقرَّ عينه ويرضى ، وهو كقوله تعالى لنبيه ﷺ : (وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فترضى) . والله تعالى أعلم .

(سورة الضحى)

(مكية وآياتها ١١)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والضحى) قسم بوقت ارتفاع الشمس ، وتخصيصه بالقسم لأن النهار يقوى فيه (والليل إذا سجى) غطى بظلامه الأشياء ، أو سكن فيه الناس والأصوات (ما ودَّعك) تركك ترْك المودع (ربك) يا محمد (

وما قلى) أبغضك ، نزل هذا لما تأخر الوحي عنه ﷺ خمسة عشر يوما ، وقال الكفار : إن ربَّه ودعه وقلاه (وللآخرة خير) أفضل (لك من الأولى) الدنيا ، أي ما أعد الله لك في الآخرة من المقام المحمود ، والحوض المورود ، والخير الموعود خير مما أعجبك في الدنيا (ولسوف يعطيك ربك) في الآخرة من الكرامات والخيرات عطاء جزيلا ، وفي الدنيا من النصر والفتوح والغنائم وكثرة المسلمين وغير ذلك (فترضى) به ، إلى هنا تم جواب القسم بمثبَتين بعد منفيَين (ألم يجدك) تعديد لما أنعم عليه تنبيهاً على أنه كما أحسن إليه فيما مضى يُحسن إليه فيما يستقبل وإن تأخر ، والاستفهام للتقرير ، أي قد وجدك (يتيما) بفقد أبيك قبل ولادتك ، ثم فقد أمك وأنت في الثامنة (فآوى) بأن ضمَّك إلى جدّك ثم إلى عمِّك أبي طالب حتى كفلك ورباك ثم حماك (ووجدك ضالا) أي غير عالم بِمعالم النبوة وأحكام الشريعة (فهدى) أي هداك إليها ، فعرفك الشرائع والحكمة والقرآن كقوله: (وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتب ولا الإيمان) (ووجدك عائلا) فقيرا (فأغنى) أي فأغناك بمال خديجة ، وبما أفاء عليك من الغنائم ، وقنّعك بذلك ، وفي الحديث : (ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس) متفق عليه ، (فأمَّا اليتيم فلا تقهر) تغلبه على ماله وحقه لضعفه (وأما السائل) للعلم أو المال ونحوه (فلا تنهر) تزجره لفقره ، بل أعط ولو قليلاً ، أو رُدَّ ردًّا جميلاً (وأما بنعمة ربِّك) عليك بالنبوة والقرآن وسائر النعم (فحدِّث) بلّغ وأخبر ، فإن مِن شُكْر النعمة التحدثَ بها ، وحذف ضميره ﷺ في قوله : (فآوى ، فهدى ، فأغنى) رعاية للفواصل . والله تعالى أعلم .

(سورة الشرح)

(مكية وآياتها ٨)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(ألم نشرح) نفسح ، استفهام تقرير أي قد شرحنا (لك) يا محمد (صدرك) بالنبوة وجعلناك تتحمل أعباء الدعوة ، وأخلاق الناس وغير ذلك (ووضعنا) حططنا (عنك وزرك) حملك الثقيل، ومنه الذنب، وترك الأفضل إلى الفاضل، كما قيل : حسنات الأبرار سيئات المقربين (الذي أنقض) أثقل (ظهرك) ، كقوله تعالى : (ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر) (ورفعنا لك ذكرك) بأن تذكر مع ذكري : في كلمة الشهادة والأذان والإقامة والتشهد والخطبة وغيرها (فإن مع العسر) الشدة والكربة (يسرا) سهولة وتفريجا (إن مع العسر يسرا) آخر، لأن المعرفة المعادة عين الأولى ، والنكرة المعادة غير الأولى، فصار المعنى إن مع العسر يسرين . ولهذا روي : (لن يغلب عسر يسرين) ، والنبي ﷺ قاسى من الكفار شدة ثم حصل له اليسر بنصره عليهم ، ودخولهم في دين الله أفواجا (فإذا فرغت) من عمل صالح كالصلاة ونحوها (فانصب) قم واتعب في عمل آخر كالدعاء ونحوه ، كقوله : (واعبد ربك حتى يأتيك اليقين) ، (وإلى ربك) وحده (فارغب) تضرع بالسؤال له ، والتوكل عليه ، كقوله : (إنا إلى الله راغبون) ، وقوله : (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) أي إليه لا إلى غيره ، فإنه وحده القادر على إسعافك . والله تعالى أعلم .

(سورة التين)

(مكية وآياتها ٨)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والتين والزيتون) أي المأكولين ، أقسم الله بهما لأنهما عجيبان من بين الأشجار المثمرة ، ولما فيهما من منافع كثيرة فهما : فاكهة وغذاء ودواء ، والزيتون إدام أيضا (وطور سينين) ويقال : سَيناء ، وهو الجبل الذي كلم الله عليه موسى ، ومعنى سينين المبارك، أو الحسن بالأشجار المثمرة، وقيل: هو اسم للبقعة التي فيها الجبل (وهذا البلد) مكة (الأمين) الآمن ، لأمن الناس فيها جاهلية وإسلاما ، كقوله : (أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ) ، ومعنى القسم بهذه الأشياء الإبانة عن شرف البقاع المباركة ، وما ظهر فيها من الخير والبركة بنزول الوحي فيها ، فالأوّلان قسم بمهبط الوحي على عيسى ، والثالث على موسى ، والرابع على محمد عليهم الصلاة السلام (لقد خلقنا الإنسان) أي جنسه (في أحسن تقويم) تعديل لشكله وصورته ، وتسوية أعضائه ، كقوله : (الذي خلقك فسواك فعدلك) ، (ثم رددناه أسفل سافلين) أي في النار ، كقوله : (والعصر إن الإنسان لفي خسر ...) الآيات ، فالاستثناء متصل ، أو هو كناية عن الهرم والرد إلى أرذل العمر ، كقوله : (وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلا يَعْقِلُونَ) ، فيكون قوله : (إلا) استثناء منقطعا بمعنى لكن ، والمعنى: لكن الصالحين من الهرمى والزمنى فلهم ثواب غير منقطع على طاعتهم ، وصبرهم على الابتلاء بالشيخوخة والهرم ، وعلى مقاساة المشاق في القيام بالعبادة (الذين آمنوا) بما يجب الإيمان به (وعملوا) الأعمال (الصالحات) وهي الخالصة لوجه الله ، الموافقة لسنة رسول الله (فلهم أجر) عظيم (غير ممنون) مقطوع ولا منقوص ، أو لا يُمَنُّ به عليهم .

(فما يكذبك) أي فما الذي يحملك على هذا الكذب أيها الكافر (بعد) بعد ما ذكر من خلق الإنسان في أحسن صورة ، ثم رده إلى أرذل العمر الدال على القدرة على البعث (بالدين) بالجزاء المسبوق بالبعث والحساب (أليس الله بأحكم الحاكمين) هو أقضى القاضين ، وحكمه بالجزاء على الأعمال من ذلك ، فهو وعيد للكفار ، وأنه تعالى يحكم عليهم بما هم أهله . والله تعالى أعلم .

(سورة العلق)

(مكية وآياتها ١٩)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(اقرأ باسم ربك) أي اقرأ القرآن مفتتحاً ومستعيناً بأسمائه تعالى الحسنى المباركة (الذي خلق) كل شيء ، ثم أفرد ما هو أشرف وأظهر صنعاً وتدبيراً ، وأدل على وجوب العبادة المقصودة من القراءة فقال : (خلق الإنسان) الجنس (من علق) جمع علقة ، وهي القطعة اليسيرة من الدم الغليظ ، سميت بذلك لأنها تعلق بجدار الرحم ، وإنما جمع ولم يقل : من علقة ؛ لأن الإنسان في معنى الجمع (اقرأ) كرره تأكيدا للأول (وربك الأكرم) الزائد في الكرم على كل كريم ، فإنه سبحانه وتعالى ينعم على عباده بلا عوض ، ويحلم عنهم ، فلا يعاجلهم بالعقوبة ، مع كفرهم وجحودهم لنعمه (الذي علّم) الخط (بالقلم) لتُقيَّد به العلوم ، ويُعلَم به البعيد . قيل : أول من خط به إدريس عليه السلام (علّم الإنسان) الجنس (ما لم يعلم) قبل تعليمه من الهدى والكتابة والصناعة وغيرها ، فدل على كمال كرمه بأنه علم عباده ما لم يعلموا ، ونقلهم من ظلمة الجهل إلى نور العلم ، ونبه على فضل علم الكتابة لما فيه من المنافع العظيمة ، وما دونت العلوم ، ولا قيدت الحكم ، ولا ضبطت أخبار الأولين ، ولا كتُبُ الله المنزلة إلا بالكتابة ، ولولا هي لما استقامت أمور الدين والدنيا ، ولو لم يكن على دقيق حكمة الله دليل إلا أمر القلم والخط لكفى به ، وهذه الآيات الخمس هي أول ما نزل من القرآن على النبي ﷺ بغار حراء (كلا) ردع لمن كفر بنعمة الله بطغيانه ، وإن لم يُذكر لدلالة الكلام عليه (إن الإنسان) اللفظ عام ، وإن نزلت في أبي جهل (ليطغى) يتجاوز حدَّه (أن رآه) أي لأجل أن رأى نفسه (استغنى) بالمال (إنَّ إلى ربك) أيها الإنسان (الرجعى) مصدر بمعنى الرجوع ، تهديد للإنسان من عاقبة الطغيان ، أي إن رجوعك إلى ربك فيجازيك على طغيانك ، كقوله : (إن إلينا إيابهم ثم إن علينا حسابهم) (أرأيت) في المواضع الثلاثة للتعجب (الذي ينهى) هو أبو جهل (عبدا) هو النبي ﷺ (إذا صلى) نزلت في أبي جهل ، قال : لو رأيت محمداً ساجداً لوطئت عنقه ، روى الإمام مسلم في صحيحه عن أبي هريرة قال : قال أبو جهل : هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم ؟ فقيل : نعم . فقال : واللات والعُزَّى لئن رأيته يفعل ذلك لأطأن على رقبته ، فأتى رسولَ الله ﷺ وهو يصلي - زعم ليطأ على رقبته - فما فَجِئهم منه إلا وهو ينكص على عقبيه ، ويتقي بيديه فقيل له: مالك؟ فقال: إن بيني وبينه لخندقا من نار، وهولا وأجنحة . فقال رسول الله ﷺ : (لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضوا عضوا) .

(أرأيت إن كان) المنهي وهو النبي ﷺ (على الهدى) الدين القيم (أو أمر بالتقوى) بفعل الطاعات واجتناب المحرمات (أرأيت إن كذب) هذا الناهي النبيَّ ﷺ (وتولى) عن الإيمان (ألم يعلم بأن الله يرى) ما صدر منه ، أي يعلمه فيجازي عليه ، والمعنى : اِعجب منه يا مخاطب من حيث نهيه عن الصلاة ، ومن حيث أن المنهي على الهدى، آمر بالتقوى، ومن حيث أن الناهي مكذبٌ متول عن الإيمان (كلا) ردع للناهي، والله (لئن) لام قسم (لم ينته) عما هو عليه من الكفر والصد عن الصلاة (لنسفعا بالناصية) لنأخذن بناصيته ، ولنسحبنّه بها إلى النار ، والسفع : القبض على الشيء ، وجذبه بشدة ، والناصية : ما انسدل على الجبهة من شعر الرأس ، والأخذ بها دليل على التمكن منه ، حيث يكون رأسه بيد آخذه فلا يستطيع انفلاتاً (ناصية) بدل ، وإنما جاز لوصفها (كاذبة خاطئة) وصَفها بالكذب والخطأ، وهما لصاحبها على الإسناد المجازي للمبالغة (فليدع ناديه) أي أهل ناديه ليعينوه، وهو المجلس ينتدي - أي يتحدث - فيه القوم ، وكان أبو جهل قد قال للنبي ﷺ - لما انتهره ونهاه عن الصلاة - : لقد علمت ما بها رجل أكثر ناديا مني ، لأملأن عليك هذا الوادي إن شئت خيلا جردا ، ورجالا مردا ، وذلك أن أبا جهل لعنه الله مرَّ برسول الله ﷺ وهو يصلي فقال : ألم أنهك ؟ فأغلظ له رسول الله ﷺ فقال : أتهددني وأنا أكثر أهل

الوادي نادياً فنزلت : (سندع الزبانية) أي ملائكة العذاب ، الغلاظ الشداد ؛ لإهلاكه ، كما في الحديث : (لو دعا ناديه لأخذته الزبانية عيانا) رواه الترمذي [صحيح الترمذي] ، (كلا) ردع له (لا تطعه) يا محمد في ترك الصلاة ، وأثبت على طاعتك (واسجد) داوم على سجودك ، أي صلاتك لله (واقترب) وتقرب إلى ربك بالسجود ، وفي الحديث : (أقرب ما يكون العبد إلى ربه إذا سجد) رواه مسلم . والله تعالى أعلم .

(سورة القدر)

(مكية وآياتها ٥)
(بسم الله الرحمن الرحيم)

(إنا أنزلناه) أي ابتدأنا إنزال القرآن ، أو أنزلناه جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا ، ثم نزل به جبريل على رسول الله ﷺ نجوماً في ثلاث وعشرين سنة (في ليلة القدر) أي الشرف العظيم ، أو تقدير أمور السنة ، وهي الليلة المباركة ، كما في قوله تعالى : (إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ . فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ) [سورة الدخان] ، (وما أدراك) أعلمك يا محمد (ما ليلة القدر) استفهام تعظيم لشأنها ، وتعجيب منه ، والمعنى : أنها قد بلغت من العظمة والفخامة ما لا يُحيط بها الوصف، ولا يمكن أن يخطر لك على بال ، ثم أخبر تعالى عن فضلها بقوله : (ليلة القدر خير من ألف شهر) ليس فيها ليلة القدر ، فالعمل الصالح فيها خير منه في ألف شهر ليست فيها ، وهي بمقدار ثلاث وثمانين سنة (تنَزَّل) أصلها تتنزل (الملائكة) شيئا فشيئا (و) كذلك (الروح) أي جبريل عليهم السلام (فيها) أي في تلك الليلة ، وخصه بالذكر لعظيم شرفه بينهم ، فإنه رئيسهم ، كما وصفه بقوله : (إنه لقول رسول كريم . ذي قوة عند ذي العرش مكين . مطاع ثَمَّ أمين) ، (بإذن ربِّهم) أي بأمره (مِن) أجْل (كلِّ أمْر) قضاه الله فيها لتلك السنة إلى قابل، فمِن سببيه (سلام هي) أي ما هي إلا سلامة ، أي لا يقدر الله فيها إلا السلامة والخير ، ويقضي في غيرها السلامة والبلاء ، أو ما هي إلا سلام ؛ لكثرة ما تُسلِّم فيها الملائكة على المؤمنين ، ويستمر هذا الخير (حتى مطلع الفجر) أي إلى وقت طلوع الصبح ، وقد اختلفت أقاويل العلماء في تعيين ليلة القدر على أكثر من أربعين قولا ، والصواب أنها لا تلزم ليلة معينة ، بل هي مبهمة في العشر الأواخر من رمضان ، فتتنقل فيها ، وهي في الأوتار منها أرجى ، والحكمة من إبهامها الاجتهاد في العشر كلها لشرفها؛ ولهذا كان النبي ﷺ يعتكفها كلها في المسجد، رجاء أن يصيب خيرها وفضلها . والله تعالى أعلم .

(سورة البينة)

(مدنية وآياتها ٨)
(بسم الله الرحمن الرحيم)

(لم يكن الذين كفروا) بمحمد ﷺ والقرآن (من أهل الكتاب) اليهود والنصارى (والمشركين) عبدة الأصنام (منفكين) أي منفصلين عن الكفر ، وإنما حُذف لدلالة (كفروا) عليه (حتى تأتيهم) أي أتتهم (البينة) أي الحجة الواضحة وهي محمد ﷺ ، ولهذا بينه بقوله : (رسول من الله) وهو النبي ﷺ بدل من البينة (يتلو) يقرأ عليهم عن ظهر قلب (صحفا مطهرة) من الباطل ، كقوله : (في صحف مكرمة . مرفوعة مطهرة) ، (فيها) أي في الصحف (كتب) أحكام مكتوبة (قيمة) مستقيمة ناطقة بالحق ، أي يتلو مضمون ذلك وهو القرآن ، فمنهم من آمن به ، ومنهم من كفر (وما تفرق الذين أوتوا الكتاب) في الإيمان به ﷺ (إلا من بعد ما جاءتهم البينة) وهو النبي ﷺ أو القرآن الجائي به معجزة له ، وقبل مجيئه ﷺ كانوا مجتمعين على الإيمان به إذا جاء ، فلما جاء آمن به بعضهم ، وحسده من كفر به

منهم ، كقوله : (وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الذين كَفَرُواْ فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِ) ، وإفراد أهل الكتاب بعد الجمع بينهم وبين المشركين للدلالة على شناعة حالهم ، وأنهم لما تفرقوا مع علمهم كان غيرهم بذلك أولى (وما أمروا) في كتابهم التوراة والإنجيل (إلا ليعبدوا الله) أي لأن يعبدوه (مخلصين له الدين) من الشرك والنفاق (حنفاء) مائلين عن العقائد الزائغة، مؤمنين بجميع الرسل (ويقيموا الصلاة) يؤدونها مستقيمة، على وجهها الشرعي (ويؤتوا الزكاة) يعطونها مستحقيها ، ولكنهم حرفوا وعصوا (وذلك دين) الملة (القيمة) المستقيمة (إن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين في نار جهنم خالدين فيها) أي يوم القيامة (أولئك هم شرُّ البريَّة) الخليقة (إن الذين آمنوا) بما يجب الإيمان به (وعملوا) الأعمال (الصالحات أولئك هم خير البريَّة) أفضل الخليقة ، استدل بها على فضل المؤمنين من البشر على الملائكة (جزاؤهم عند ربهم جنات) جمع جنة وهي البستان العظيم الذي تكثر أشجاره (عدن) إقامة دائمة (تجري من تحتها) تحت قصورها وأشجارها (الأنهار) من الماء واللبن والخمر والعسل (خالدين فيها أبدا رضي الله عنهم) بطاعتهم له ، وفي الحديث : (إن الله تعالى يقول لأهل الجنة : يا أهل الجنة ! فيقولون : لبيك ربنا وسعديك ، والخير كله في يديك ، فيقول : هل رضيتم ؟ فيقولون : وما لنا لا نرضى يا ربّ ، وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدا من خلقك ؟ فيقول : ألا أعطيكم أفضل من ذلك ؟ فيقولون : يا ربّ ! وأيّ شيء أفضل من ذلك ؟ فيقول : أحل عليكم رضواني ، فلا أسخط عليكم بعده أبدا) متفق عليه (ورضوا عنه) بثوابه لهم ؛ لأنه بلغهم أقصى أمانيهم، فرضاهم عن الله في الدنيا هو الرضا بقضائه ، والرضا بدينه ، قال رسول الله ﷺ : (ذاق طعم الإيمان من رضي بالله رباً، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد رسولاً) رواه مسلم ، ورضاهم عنه في الآخرة : هو رضاهم بما أعطاهم الله فيها ، كما تقدم في الحديث (ذلك) أي المذكور من الجزاء والرضوان (لمن خشي ربه) خاف عقابه ، فانتهى عن معصيته تعالى ، فإن الخشية ملاك الأمر ، والباعث على كل خير، وفيها دليل على أن العلماء هم خير الخليقة، حيث جعل هذا الجزاء لخير البريّة ، ثم وصفهم بأنهم من يخشون ربهم ، وقد قال الله عزَّ وجلَّ : (إنما يخشى الله من عباده العلماء) .

عن أنس بن مالك قَال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبيّ بن كعب : (إن الله أمرني أن أقرأ عليك : (لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا) ، قال : وسماني لك ؟ قال : (نعم) ، فبكى . متفق عليه . والله تعالى أعلم .

(سورة الزلزلة)

(مكية وآياتها ٨)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(إذا زلزلت الأرض) حُرِّكت واضطرَبت لقيام الساعة (زلزالها) تحريكها الشديد الذي ليس بعده زلزال وهو مصدر أضيف إليها تهويلاً لشأنها ، كقوله : (يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم) ، (وأخرجت الأرض أثقالها) كنوزها وموتاها ، فألقتها على ظهرها ، كقوله : (وألقت ما فيها وتخلت) ، (وقال الإنسان ما لها) زَلزَلت هذه الزلزلة الشديدة ، ولفظت ما في بطنها ؟ وذلك عند النفخة الثانية حين تزلزل وتلفظ موتاها أحياء ، فيقول الناس ذلك لما يبهرهم من الأمر الفظيع ، كما يقولون (مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا) ؟ ، وقيل : هذا قول الكافر ؛ لأنه كان لا يؤمن بالبعث ، فأما المؤمن فيقول : (هَذَا مَا وَعَدَ الرحمن وَصَدَقَ المرسلون) (يومئذ) بدل من إذا وجوابها (تحدث أخبارها) أي تشهد على كل عبد وأمة بكل ما عمل على ظهرها من خير وشر (بأن) بسبب أن (ربَّك أوحى لها) أي إليها ، بمعنى : أنه أمَرَها بذلك فاستجابت ، كقوله : (حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ . وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ) (يومئذ يصدر الناسُ) ينصرفون عن مخارجهم من القبور إلى الموقف ، أو ينصرفون من موقف الحساب (أشتاتا) متفرقين بحسب

مراتبهم فمنهم بيض الوجوه آمنين ، وسود الوجوه فزعين (ليُرَوا أعمالهم) أي جزاءها من الجنة أو النار .

(فمن يعمل مثقال ذرة) زِنة نملة صغيرة (خيرا يره) ير ثوابه (ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) ير جزاءه ، وهذه الآية سماها النبي ﷺ بـ (الفاذة الجامعة) رواه مسلم ، وهي كقوله تعالى : (وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ) ، وقوله : (وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا) ، قال تعالى في الحديث القدسي: (يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها، فمن وجد خيراً فليحمد الله ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومَنَّ إلا نفسه) رواه مسلم . والله تعالى أعلم .

(سورة العاديات)

(مكية وآياتها ١١)
(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والعاديات) أقسم سبحانه بخيل الغزاة تعدو فتضبح (ضبحاً) وهو صوت أنفاسها عند العدْو (فالموريات) الخيل تُخرج النار (قدحا) صاكّات بحوافرها الحجارة ، إذا سارت في الأرض ذات الحجارة بالليل (فالمغيرات) الخيل يَشن أصحابها الغارة على العدو (صبحا) وقت الصبح (فأثرن) هيّجن وحرّكن (به) بذلك الوقت (نقعا) غبارا بشدةِ حركَتِهِنَّ (فوسطن به) أي توسطن بالنقع ، أي ملتبّسات به (جمعا) من جموع الأعداء (إن الإنسان) الكافر (لربه لكنود) لكفور يجحد نعمته تعالى (وإنه على ذلك) أي كَنودِه (لشهيد) يشهد على نفسه بصنعه (وإنه لحبّ الخير) أي المال ، كقوله : (إن ترك خيرا) أي مالا (لشديد) الحبّ له فيبخل به ، كقوله : (وتحبون المال حبّا جما) (أفلا يعلم إذا بعثر) أثير وأخرج (ما في القبور) من الموتى أي بُعِثوا (وحُصّل) بُيّن وأفرز (ما في الصدور) القلوب من خير أو شر (إن ربهم بهم يومئذ) يوم القيامة (لخبير) لعالم بما أعلنوا وما أسروا فيجازيهم عليه ، وتعلق خبير بـ (يومئذ) لأنه يوم المجازاة ، فخصه به كما خص ملكه بيوم الدين في قوله : (مالك يوم الدين) ، وإلا فهو تعالى خبير بهم دائما ، أزلا وأبدا . والله تعالى أعلم .

(سورة القارعة)

(مكية وآياتها ١١)
(بسم الله الرحمن الرحيم)

(القارعة) هي القيامة التي تقرع القلوب بأهوالها ، والقرع : هو الضرب بشدة ، بحيث يحصل منه صوت قوي (ما القارعة) تهويل لشأنها (وما أدراك) أعلمك (ما القارعة) أي أيُّ شيء أعلمك ما هي ، زيادة تهويل لها (يوم) أي تقرع يوم (يكون الناس كالفراش المبثوث) في كثرتهم وضعفهم وانتشارهم واضطرابهم ، وتطايرهم إلى الداعي من كل جانب كما يتطاير الفراش إلى النار ، كقوله : (يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً) ، وقوله : (يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُكُرٍ . خُشَّعاً أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الأجداث) أي القبور (كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ) في كثرتهم ، وموج بعضهم في بعض (مُهْطِعِينَ) أي مسرعين (إِلَى الدَّاعِ ، يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ)، ثم قال تعالى : (وتكون الجبال) أي الرواسي

العظيمة الصُلبة (كالعهن) وهو الصوف المصبوغ ألوناً ؛ لأنها ألوان كقوله : (وَمِنَ الجبال جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ ألوانها) (المنفوش) المندوف في خفة سيرها ، وتفرُّقِ أجزائها ، وتطايرها في الجو .

(فأما من ثقلت موازينه) بأن رجحت حسناته على سيئاته (فهو في عيشة راضية) أي مرضية له ، وهي الجنة (وأما من خفت موازينه) بأن رجحت سيئاته على حسناته (فأمه) فمأواه (هاوية) النار المحرقة يهوي بها على رأسه ، كالأم مَأوى الولد ومَفزعُه (وما أدراك ما هيه) أي ما هاوية ؟ والهاء في (ما هيه) للسكت ، ثم فسرها بقوله : هي (نار حامية) أي بلغت النهاية في الحرارة ، نسأل الله العافية منها ، فإن استوت حسناته وسيئاته فهو من أصحاب الأعراف . والله تعالى أعلم .

(سـورة التـكـاثـر)

(مكية وآياتها ٨)
(بسم الله الرحمن الرحيم)

(ألهـاكم) صرفكم إلـى اللهـو ، وشـغلكم عن طاعـة الله ، وعـن طلـب الآخـرة (التكـاثر) التبـاهي والتفـاخر بكثـرة الأمـوال والأولاد والرجـال (حتـى زرتـم المقـابر) إلـى أن مـتم وقبـرتم ، مضيعين أعمـاركم فـي طلـب الدنيا عما هو أهم لكم ، وهو السعي لأخراكم (كلا) زجر وتهديد ، وتنبيه على أنه لا ينبغي للعاقل أن يكون جميع همه ومعظم سعيه للدنيا ، فإن عاقبة ذلك وبال وحسرة (سوف تعلمون) سوء عاقبة تفاخركم عند النزع ثم في القبر (ثم كلا سوف تعلمون) تكرير الزجر للإنذار والتخويف ، وفي (ثُمَّ) دلالة على أن الثاني أبلغ من الأول ، كقوله : (أولى لك فأولى . ثم أولى لك فأولى) (كلَّا) حقا (لو تعلمون) أي عاقبة التفاخر ، حذف المعمول لقصد التهويل ، فيقدر السامع أعظم ما يخطر بباله (علم اليقين) أي علما يقينا ما اشتغلتم به ـ وهو جواب لو ـ ولكنكم ضلال تجهلون ذلك ، واللهِ (لتَرَوُن الجحيمِ) أي النار ، فهو جواب قسم محذوف ، وليس جوابا لـ (لو) (ثم لترونها) كرره معطوفا بـ (ثم) تغليظاً في التهديد ، وزيادة في التهويل (عين اليقين) مصدر مؤكِّد لمعنى عامله . أي الرؤية التي هي نفس اليقين ، فإن علم المشاهدة أعلى مراتب اليقين (ثم لتُسألُنَّ يومئذ) أي يوم رؤيتها (عن النعيم) وهو ما يلتذ به في الدنيا من الصحة والفراغ والأمن والمطعم والمشرب وغير ذلك ، هل أديتم شكرها أم لا ؟ كقوله : (إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً) ، وقوله : (وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْؤُولُونَ) .

عن عبد الله بن الشخير رضي الله عنه قال : أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ (ألهاكم التكاثر) ، قال : يقول ابن آدم : مَالي مالي ! وهل لك يا ابن آدم من مالك إلا ما أكلت فأفنيت ؟ أو لبست فأبليت ؟ أو تصدقت فأمضيت) رواه مسلم ، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : خرج رسول الله ﷺ ذات يوم وليلة ، فإذا هو بأبي بكر وعمر فقال : (ما أخرجكما من بيوتكما هذه الساعة ؟) قالا : الجوع ، قال : (وأنا والذي نفسي بيده لأخرجني الذي أخرجكما ، قوموا) فقاموا معه فأتى رجلا من الأنصار ، فإذا هو ليس في بيته ، فلما رأته المرأة قالت : مرحبا وأهلا ، فقال لها رسول الله ﷺ : (أين فلان ؟) قالت : ذهب يستعذب لنا من الماء ، إذ جاء الأنصاري فنظر إلى رسول الله ﷺ وصاحبيه ، ثم قال : الحمد لله ، ما أحد اليوم أكرم أضيافا مني ، قال : فانطلق فجاءهم بعذق فيه بسر وتمر ورطب ، فقال : كلوا من هذه ، وأخذ المدية ، فقال له رسول الله ﷺ : (إياك والحلوب) ، فذبح لهم ، فأكلوا من الشاة ، ومن ذلك العذق ، وشربوا ، فلما أن شبعوا ورووا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر وعمر : (والذي نفسي بيده لتسألن عن هذا النعيم يوم القيامة ، أخرجكم من بيوتكم الجوع ، ثم لم ترجعوا حتى أصابكم هذا النعيم) رواه مسلم ، وعن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (لا تزول قدما ابن آدم يوم القيامة من عند ربه حتى يسأل عن خمس : عن عمره فيما أفناه ، وعن شبابه فيما أبلاه ، وماله من أين اكتسبه ، وفيما أنفقه ، و ماذا عمل فيما علم) رواه الترمذي [السلسلة الصحيحة] . والله تعالى أعلم .

(سـورة العـصـر)

(مكية وآياتها ٣)
(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والعصر) الدهر والزمان ، أقسم الله به لما فيه من دلائل القدرة ، ولما في مروره من أصناف العجائب ، أو هو صلاة العصر أقسم بها لفضلها ، كما خصها في قوله : (حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاةِ الْوُسْطَى) ، وكما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (الذي تفوته صلاة العصر كأنما وتر أهله وماله) متفق عليه ، (إن الإنسان) المراد به الجنس بدليل الاستثناء (لفي خسر) هو مصدر بمعنى خسران ، أي في مساعيهم وصرف أعمارهم ، وهو ضد الربح في التجارة ، كقوله : (فما ربحت تجارتهم) ، استعير هنا لسوء العاقبة ، والعاقبة الدائمة إنما هي عاقبة الإنسان في آخرته من نعيم أو عذاب ، والتعبير بـ (في) للدلالة على ملازمة الخسارة له ، وإحاطتها به ، فهي أبغ مما لو قيل : لخاسر (إلَّا) من اتصف منهم بأربع صفات ، فهؤلاء هم الفائزون بالحياة الأبدية ، والسعادة السرمدية ، وهي (الذين آمنوا) بكل ما يجب الإيمان به (وعملوا) الأعمال من فرائض ونوافل (الصَّالحات) وهي الخالصة لله ، الموافقة لهدي رسول الله ﷺ ، ومن أجَلِّها التوبة النصوح بشروطها ، وفيها دليل على أن الإيمان والأعمال الصالحات سبب نجاة الناس في الآخرة ، و أن تركهما هو سبب خسارتهم فيها (وتواصَوا) أي أوصى بعضهم بعضا (بالحق) بالأمر الثابت الذي لا يسوغ إنكاره ، وهو الخير كله : من توحيد الله وطاعته ، واتباع كتبه ورسله ، والوصية : هي العهد بالأمر المهم (وتواصَوا) أي وأوصى بعضهم بعضا (بالصَّبر) عن المعصية ، وعلى الطاعة والأقدار المؤلمة . وقرن الله تعالى هنا بين الدعوة إلى الخير والصبر لأن الدعوة مظنة حصول الأذى ، كما قرن بينهما في قوله : (يا بُنَيَّ أقِمِ الصَّلاة وأمُرْ بالمعروف وانْهَ عن المنكر واصبر على ما أصابك) ، وقوله : (قُمْ فأنذر) ثم قوله : (ولربِّك فاصبر) .

وعطف (التَّواصي بالحقِّ والصَّبر) على العمل الصالح هو من عطف الخاص على العام للاهتمام به؛ لأنه قد يُغفل عنه، فيُظنّ أن العمل الصَّالح قاصر على صاحبه ، فوقع التنبيه على أنَّ منه إرشادَ المسلم غيرَه ودعوتَه إلى الخير ، ومنه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والصَّبر على ما يلاقيه المسلم عند ذلك من كراهية وغضب بعض المدعوين ، أو أذاهم له بالقول أو الفعل . قال الإمام الشافعي ـ رحمه الله ـ : لو تدبَّر النَّاس هذه السُّورة لكفتهم . وقال غيره : إنها شملت جميع علوم القرآن . والله تعالى أعلم .

(سورة الهمزة)

(مكية وآياتها ٩)
(بسم الله الرحمن الرحيم)

(ويل) كلمة عذاب ووعيد (لكل همزة) كثير الطّعن في الناس بالفعل (لُمَزة) كثير الطعن في الناس بالقول ، أي يغتابهم بفعله وقوله ، ووزن (فُعَلَة) يدل على كثرة صدور الفعل المصاغ منه ، وأنه صار عادة لصاحبه ، كقولهم : ضُحَكَة لكثير الضَّحِك ، ولُعَنَة لكثير اللَّعن ، قيل : نزلت فيمن كان يغتاب النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ، كأمية بن خلف والوليد بن المغيرة وغيرهما ، والسبب وإن كان خاصاً إلا أن الوعيد عام يتناول كل من باشر ذلك القبيح (الذي جمع مالا وعدده) أحصاه مرة بعد أخرى ، وجعله عدة لحوادث الدهر (يحسب) يظن لجهله (أن ماله أخلده) يجعله خالدا في الدنيا لا يموت ، أو يظن أن ماله يوصله إلى دار الخلد ، وفيه إشارة أن الإيمان والعمل الصالح هو الذي يخلد صاحبه في النعيم لا المال ، كقوله : (وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ) ، وقوله : (يَوْمَ لا يَنفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ . إلا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ) (كلا) ردع له عن حسبانه (لَيُنْبَذَنَّ) جواب قسم محذوف ، أي والله ليُطرحَنَّ (في الحطمة) هي جهنم ، سُمِّيت بذلك لأنها تحطم كل ما ألقي فيها (وما أدراك) أعلمك (ما الحطمة) استفهام تفخيم وتهويل ، ثم فسرها بقوله : هي (نار الله الموقدة) المسعَّرة المشتعلة ، التي أوقدها الله ، وما أوقده لا يقدر غيره أن يطفئه (التي تطلع) تشرف (على الأفئدة) القلوب ، فتدخل في أجوافهم حتى تصل إلى

قلوبهم فتحرقها ، وتخصيصها بالذكر لأن الفؤاد ألطف ما في البدن ، وأشده ألماً وحساسية ، ولأنه محل العقائد الزائفة ، ومنشأ الأعمال الفاسدة (إنها عليهم مؤصدة) مطبقة (في عَمَد) أي موثقين في أعمدة (ممددة) ممدودة ، أو تؤصد عليهم الأبواب ، وتمدد على الأبواب العمد استيثاقاً في استيثاق . والله تعالى أعلم .

(سورة الفيل)

(مكية وآياتها ٥)

(بسم الله الرَّحمن الرَّحيم)

(ألم تر) أي تعلم ، والخطاب للرسول صلى الله عليه و سلم ، وهو وإن لم يشهد تلك الوقعة لكن شاهد آثارها وسمع بالتواتر أخبارها ، فقامت له مقام المشاهدة ، والاستفهام للتعجيب ، أي اعْجبْ يا محمد من كفر العرب ، وقد شاهدَتْ هذه العظمة من آيات الله (كيف فعل ربك بأصحاب الفيل) وهم أبرهة وجيشه ، روي أن أبرهة ملك اليمن من قبل أصحمة النجاشي بنى بصنعاء كنيسة ليصرف إليها الحاجَّ عن مكَّة ، فأحدث رجل من كنانة فيها ، ولطخ قبلتها بالعذرة احتقارا لها ، فحلف أبرهة ليهدمَّن الكعبة ، فجاء مكّة بجيشه على أفيال اليمن ، مقدمها فيل عظيم يقال له : محمود ، فكان كلما وجهوه إلى الحرم برك ولم يبرح ، وإذا رجعوه إلى اليمن أو إلى جهة أخرى هرول ، فبينما هم كذلك إذ أرسل الله عليهم طيراً ، مع كلّ واحد حَجَران في رجليه ، وحَجر في منقاره ، أكبر من العدسة ، وأصغر من الحمُّصة ، فترميهم فيقع الحجر في رأس الرجل ، فيخرج من دبره فهلكوا جميعاً ، وروي أن أبرهة أخذ لعبد المطلب مائتي بعير ، فخرج إليه فيها ، فعظم في عينه وكان رجلاً جسيماً وسيماً ، وقيل له: هذا سيد قريش وصاحب عير مكة الذي يطعم الناس في السهل والوحوش في رءوس الجبال ، فلما ذكر حاجته قال : سقطتَ من عيني ، جئت لأهدم البيت الذي هو دينك ودين آبائك ، وشرفكم في قديم الدهر ، فألهاك عنه ذَودٌ أُخِذ لك ! فقال : أنا ربُّ الإبل ، وللبيت ربٌّ سيمنعه . فكان الأمر كما قال .

وذلك ما قصَّه الله في قوله : (ألم يجعل) أي قد جعل (كيدهم) في هدم الكعبة (في تضليل) خسارة وضياع وهلاك ، وذلك أنهم كادوا البيت أوَّلاً ببناء الكنيسة ليصرفوا وجوه الحاج إليها ، فضلل كيدهم بإهانتها ، وكادوه ثانياً بإرادة هدمه فضلل كيدهم (وأرسل عليهم طيرا أبابيل) جماعات جماعَات (ترميهم بحجارة من سجِّيل) طين مطبوخ بالنار (فجعلهم كعصف مأكول) كورق زرع أكلته الدواب ثم راثته ، والمعنى : أهلكهم الله تعالى كل واحد بحجره المكتوب عليه اسمه ، حتى صاروا رميماً ، وكان هذا عام مولد النبي صلى الله عليه وسلم ، المسمَّى بعام الفيل . والله تعالى أعلم .

(سـورة قـريش)

(مكية وآياتها ٤)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(لإيلاف قريش) متعلِّق بقوله : (فَلْيَعْبُدُواْ) أي فليعبدوه لأجل إيلافهم الرحلتين ، أي لجعلهم يألفونها ، وقريش اسم قبيلة ، وهم ذرية النضر بن كنانة ، وينقسمون إلى أفخاذ وبيوت ، كبني هاشم وبني أمية وبني مخزوم وغيرهم ، وإنما سُمِّيت القبيلة قريشاً لتقرُّشهم ، والتقرُّش التكسُّب وكانوا تجاراً ، أو لدابة في البحر تأكل ولا تؤكل ، وتَعلو ولا تُعلى ، وصُغِّرَ الاسمُ للتعظيم (إيلافهم) تأكيد ، وهو مصدر آلف بالمد ، إذا اعتادوه ، وزالت الكلفة عنه ، والنفرة منه (رِحلة الشتاء) إلى اليمن (و) رحلة (الصَّيف) إلى الشام ، وكانت لقريش رحلتان يرحلون فيمتارون ويتَّجرون ، وكانوا في رحلتيهم آمنين ؛ لأنّهم أهل حرم الله ، وولاة بيته العزيز ، فلا يُتَعرَّض لهم، وغيرهم يُغَار عليهم، كما في قوله: (أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَماً آمِناً وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ) ، (فليعبدوا) أي يفردوه وحده بالعبادة ، التي هي منتهى الذل والخضوع مع المحبة والتعظيم بفعل أوامره ، واجتناب نواهيه ، ولا يشركوا به شيئا، والفاء في قوله : (فليعبدوا) قيل : زائدة ، وقيل : دخلَتْ لِمَا في الكلام من معنى الشرط ، والمعنى : أن نِعَم الله عليهم لا تحصى ، فإن لم يعبدوه لسائر نعمه فليعبدوه لأجل إيلافهم الرحلتين (ربَّ) أي مالك (هذا البيت) الكعبة ، التي هي شرفهم وعزهم ، وفي هذا إقامة حجة عليهم بملاطفة ، واستدعاء لهم ، وتذكير بالنعم (الذي أطعمهم من جوعٍ) أي من أجله ، وكان يصيبهم الجوع لعدم الزرع بمكة ، كما قال إبراهيم عليه السلام : (ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع) ، (وآمنهم من خوفٍ) ومن ذلك خوفهم جيش الفيل ، وخوف التخطّف في بلدهم ومسايرهم ، والتنكير في جوع وخوف لشدتهما ، يعني : أطعمهم بالرحلتين من جوع شديد ، وآمنهم من خوف عظيم كانوا فيه ، كما قال تعالى : (أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَماً آمِناً يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقاً مِنْ لَدُنَّا) ، وكان ذلك بدعوة أبيهم إبراهيم عليه السلام في قوله : (رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَداً آمِناً وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ) ، وكذلك كل من استجاب لهذا الأمر ، وأخلص العبادة لله تكفل الله له بالرزق والأمن في الدنيا والآخرة ، ومن عصاه سلبهما منه ، كما قال تعالى : (وَضَرَبَ اللهُ مَثَلا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ الله فَأَذَاقَهَا الله لِبَاسَ الجوعِ وَالخوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ) . والله تعالى أعلم .

(سـورة المـاعـون)

(مكية وآياتها ٧)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(أرأيت) استفهام تعجيب (الذي يكذب بالدين) بالحساب والجزاء ، أي أخبرني عنه ! هل عرفته ؟ وإن لم تعرفه : (فذلك) بتقدير هو بعد الفاء ، أي فهو ذلك (الذي يدُعّ اليتيم) وهو الصغير الذي مات أبوه قبل البلوغ ، أي يدفعه بشدة وعنف عن حقه، ويرده رداً سيئا قبيحاً (ولا يَحضُّ على طعام المسكين) أي لا يَحُث غيره على إطعام المحتاج ، ونفسه من باب أولى؛ لعدم اعتقاده بالجزاء، كقوله تعالى: (كَلا بَل لا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ وَلا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ)، وقولهم : (أَنُطْعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ) ، ولو آمن بالجزاء وأيقن بالوعيد لخشي الله وعقابه ولم يقدم على ذلك ، فدلت الآية على أن الإيمان بالدين يحمل صاحبه على فعل الحسنات وترك السيئات (فويل للمصلين . الذين هم عن صلاتهم ساهون) غافلون يؤخرونها عن وقتها ، قال بعض السلف : الحمد لله الذي قال : (عَن صلاتِهم) ولم

يقل : (في صلاتِهم) ؛ لأن معنى (عن) أنّهم ساهون عنها سهو ترك لها ، وقلة التفات إليها ، وذلك فعل المنافقين ، ومعنى (في) أن السهو يعتريهم فيها بوسوسة شيطان أو حديث نفس ونحو ذلك ، وذلك لا يخلو عنه مسلم ، وقد كان رسول الله ﷺ يقع له السهو في صلاته ، فكيف بغيره (الذين هم يراؤون) أي يُرون الناس أعمالهم : كصلاة وغيرها ليُروهم الثناء عليهم والإعجاب بهم ، كحال المنافقين الذين لا يريدون بصلاتهم قربة إلى ربهم ، ولا تأدية لما فرض عليهم ، فهم ينخفضون ويرتفعون ولا يدرون ماذا يفعلون ، كما أخبر الله عنهم بقوله : (إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم . وإذا قاموا إلى الصَّلاة قاموا كسالى . يراؤون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلا) (ويمنعون الماعون) لبخلهم وقلة منفعتهم للناس، والماعون: ما يتعاطاه الناس بينهم من متاع البيت على وجه العارية: كالإبرة والفأس والمنخل، والقدر والدلو والقصعة، والماء والنار والملح ، ومنعهم للزكاة من باب أولى . والله أعلم .

(سورة الكوثر)

(مدنية وآياتها ٣)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(إنا أعطيناك) يا محمد (الكوثر) الخير الكثير ، من النبوة والقرآن والشفاعة ونحوها ، ومنه حوضه الذي ترد عليه أمته ، ونهر في الجنة وعده به ربه ، ماؤه أحلى من العسل ، وأبيض من اللبن ، وأبرد من الثلج ، وألين من الزبد ، حافتاه الزبرجد وقباب اللؤلؤ المجوف ، وترابه مسك أذفر ، وحصباؤه الدرُّ والياقوت ، وأوانيه من فضة ، عدد نجوم السماء، لا يظمأ من شَرِب منه ، عن عبد الله بن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (الكوثر نهر في الجنة ، حافتاه من ذهب ، ومجراه على الدر والياقوت ، تربته أطيب من المسك ، وماؤه أحلى من العسل ، وأبيض من الثلج) رواه الترمذي وابن ماجه [صحيح الترمذي] (فصلِّ لربِّك) داوم عليها ، مخلصا لله فيها ، شكرا لإنعامه عليك ، ومن ذلك صلاة عيد النحر ، فإن الصلاة جامعة لأقسام الشكر ، بخلاف الساهي عنها ، المرائي فيها ، (وانحر) نسكَكَ هدياً وضحايا ، مِن البُدن وغيرها لله تعالى وحده ، وتصدق منها على المحاويج ، خلافا لمن يَدُعُّهم ، ويَمنع عنهم الماعون ، قال تعالى : (قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين) ، وإنما خصَّ البدن في الآية لأنها خيار أموال العرب ، كما قال تعالى : (وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُم مِّن شَعَائِرِ اللهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ . فَاذْكُرُوا اسْمَ اللهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالمعْتَرَّ . كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ . لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلا دِمَاؤُهَا وَلَكِن يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنكُمْ) (إن شانئك) أي مبغضك، ومبغض ما جئت به من الهدى والحق ، ومنه : الشنآن بمعنى البغض والعداوة (هو الأبتر) المنقطع عن كل خير ، أو المنقطع العقب ، لا أنت ؛ لأن كلَّ مَن يُولد إلى يوم القيامة من المؤمنين فهم أولادك وأعقابك ، وذِكْرُك مرفوع على المنابر ، وعلى لسان كل ذاكر إلى آخر الدهر ، يبدأ بذكر الله ويُثَنِّي بذكرك ، ولك في الآخرة ما لا يدخل تحت الوصف ، فمثلك لا يقال له : أبتر ؛ إنما الأبتر هو شانئك المنسي ، والمبتور من رحمة الله في الدنيا والآخرة ، نزلت في بعض المشركين عند موت القاسم ابن النبي ﷺ ، فقال : إن محمدا أبتر ، فإذا مات استرحنا منه ، وانقطع أمره بموته . والله تعالى أعلم .

(سورة الكافرون)

(مكية وآياتها ٦)

سببها : لما قال رهْط من المشركين لرسول الله ﷺ : تعبد آلهتنا سنة ، ونعبد إلهك سنة ، فقال : معاذ الله أن نشرك بالله شيئاً ، ونزلت السورة .

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(قل يا أيها الكافرون) عموما ، وكفار قريش خصوصا (لا أعبد ما) أي الذي (تعبدونـ)ـه من الأصنام (ولا أنتم عابدون ما) أي مَن (أعبد)ه وهو الله وحده ، فما هنا موصولة (ولا أنا عابد ما عبدتم) أي عبادتكم الشركية، بمعنى: لا أسلكها ، ولا أقتدي بها ، وإنما أعبد الله على الوجه الذي يحبه ويرضاه ، ولهذا قال : (ولا أنتم عابدون ما أعبد) أي عبادتي الخالصة لله وحده ، فما هنا مصدرية ، والمعنى : لا تقتدون بأوامر الله وشرعه في عبادته ، بل اخترعتم أشياء من تلقاء أنفسكم ، كما قال : (إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى) ، فتبرأ منهم في جميع ما هم فيه ، فإن العابد لا بد له من معبود يعبده ، وعبادة يسلكها إليه ، فالرسول وأتباعه يعبدون الله بما شرعه ، والمشركون يعبدون غير الله عبادة لم يأذن بها الله . وقيل : الأول باعتبار الماضي ، والثاني باعتبار المستقبل (لكم دينكم) الشرك (ولي دين) الإسلام ، كما قال تعالى : (وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ) ، وهذه السورة هي سورة الإخلاص العملي ، والبراءة من الشرك ، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ بها وبـ (قل هو الله أحد) سورة الإخلاص العلمي ، في سنة الصبح ، وسنة المغرب البعدية ، وركعتي الطواف ، وآخر ركعتين من الوتر ، وعند النوم . والله تعالى أعلم .

(سورة النصر)

(مدنية وآياتها ٣)

نزلت قبل فتح مكة ، وهي آخر ما نزل من السّور .

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(إذا جاء)ك يا محمد (نصر الله) لك على أعدائك ، وهم قريش (والفتح) فتح مكة (ورأيت الناس) قبائل العرب (يدخلون في دين الله) الإسلام (أفواجا) جماعات من غير قتال ، بعدما كانوا يدخلون فيه واحِدا واحدا واثنين اثنين على خوف ، وذلك أنه أسلم بعد فتح مكة بشر كثير، وجاءه العرب من أقطار الأرض طائعين ، فقد ذكروا أن الذين كانوا مع النبي ﷺ في فتح مكة عشرة آلاف ، وكان معه في غزوة تبوك سبعون ألفاً ، حتى قال الإمام أبو عمر بن عبد البر رحمه الله : لم يمت رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي العرب رجل كافر . والإخبار بذلك كله قبل وقوعه من الإخبار بالغيب ، فهو من أعلام نبوّته ﷺ (فسبح بحمد ربك) أي نزّه ربك عن صفات النقص متلبسا بحمده تعالى (واستغفره) أي اطلب منه مغفرة ذنبك ، ودم على ذلك ، وأصل المغفرة : ستر الذنب والتجاوز عنه (إنه كان توّابا) كثير التوبة على عباده : يوفقهم لها ، ويتقبلها منهم ، أمره سبحانه بالتسبيح والحمد ليكون شكراً على النصر والفتح وظهور الإسلام ، وأمرَه بذلك وبالاستغفار عند اقتراب أجله ليكون ذلك زاداً للآخرة ، وعُدَّةً للقاء الله جل وعلا ، وفيه إشارة إلى تمام أمر الدعوة وتكامل أمر الدين ، كقوله تعالى : (اليوم أكملت لكم دينكم) ، ولهذا سُمِّيت هذه السورة بسورة التوديع .

وفي الصحيحين : كان صلى الله عليه وسلم بعد نزول هذه السورة يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده : (سبحانك اللهم ربنا وبحمدك ، اللهم اغفر لي) . وعلِم بها اقتراب أجله ، وكان فتح مكة في رمضان سنة ثمان ، وتوفي ﷺ في ربيع الأول سنة عشر ، فعاش رسول الله ﷺ بعدها سنتين ثم توفي .

وفي صحيح البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان عمر يسألني مع أصحاب النبي ﷺ ، فقال له عبد الرحمن بن عوف : أتسأله ولنا بنون مثله ؟ فقال له عمر : إنه من حيث تعلم ، فسأله عن هذه الآية (إذا جاء نصر الله والفتح) فقلت : إنما هو أجل رسول الله ﷺ أعلمه إياه ، وقرأ السورة إلى آخرها ، فقال له عمر : والله ما أعلم منها إلا ما تعلم . وَفِيْ صَحِيْحِ مُسْلِمٍ عَنِ الأَغَرِّ الْمُزَنِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : (إِنِّي لأَسْتَغْفِرُ اللهَ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ) . وفي صحيح مسلم أيضا عن عُبَيْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُتْبَةَ قَالَ : قَالَ لِي ابْنُ عَبَّاسٍ : " تَعْلَمُ آخِرَ سُورَةٍ نَزَلَتْ مِنَ الْقُرْآنِ ، نَزَلَتْ جَمِيعًا ؟ قُلْتُ نَعَمْ ، (إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ) . قَالَ : صَدَقْتَ " . والله تعالى أعلم .

(سورة المسد)

(مكية وآياتها ٥)
(بسم الله الرحمن الرحيم)

لما دعا النبي صلى الله عليه وسلم قومه وقال لهم : إني نذير لكم بين يدي عذاب شديد . فقال عمه أبو لهب : تبا لك ألهذا دعوتنا ، نزل (تبت) خسرت وهلكت (يدا أبي لهب) أي جملتُه ، كقوله : (ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة) أي بأنفسكم ، وعبر عنها باليدين لأن أكثر الأفعال تزاول بهما ، وهذه الجملة دعاء (وتبَّ) وهذه خبر ، أي وقد خسر هو وهلك ، وضل عمله وسعيه ، كقولهم : أهلكه الله وقد هلك . فإن قيل : لم ذُكِر بكنيته ـ والتكنية تكرمة ـ ؟ فالجواب : لاشتهاره بها دون الاسم ، أو لكراهة اسمه فاسمه عبد العزى ، أو لأن مآله إلى نار ذات لهب فوافقت حالُه كنيتَه . ولما خوفه النبي ﷺ بالعذاب فقال : إن كان ما يقول ابن أخي حقا فإني أفتدي منه بمالي وولدي نزل : (ما أغنى عنه ماله وما كسب) أي وكسْبُه وهو ولده ، وأغنى بمعنى يغني ، وما الأولى نافية ، أي لن يغني عنه شيئا ، وتحتمل أن تكون استفهامية ، بمعنى : أيَّ شيءٍ أغنى عنه ؟ ، والمراد بها النفي كما تقدم (سيصلى نارا) أي يدخلها ، فيذوق عذابها ، ويقاسي حرها (ذات لهب) أي تلهُّب عظيم، وتوقُّد واشتعال، فهي مآل تكنيته ؛ لتلهُّب وجهه إشراقا وحمرة (وامرأته) وهي أم جميل ، واسمها أروى بنت حرب بن أمية، أخت أبي سفيان، وكانت عونًا لزوجها على كفره وجحوده وعناده؛ فلهذا تكون يوم القيامة عَونا عليه في عذابه في نار جهنم (حمالةَ) منصوب على الذم ، أي أذم حمالة (الحطب) الشوك والسعدان ، كانت تلقيه في طريق النبي صلى الله عليه وسلم (في جيدها) عنقها (حبل من مسد) وهو ما فتل من الحبال فتلاً شديداً من ليف أو جلد أو غيرهما . وفيها تصوير لها بصورة الحطابة التي تحمل الحزمة من الشوك وتربطها في جيدها تحقيرا لشأنها ، لتجزع من ذلك هي وزوجها ، وهما في بيت العز والشرف ، وفي منصب الثروة والجدة ، أو بيان لحالها في نار جهنم حيث يكون في عنقها سلسلة من النار ، وعلى ظهرها حزمة من حطب جهنم ، لتوقد به على زوجها ، خِزيا لهما ، إذ جعل شدة عذابه على يد أحب الناس إليه، وجعلها سبباً لعذاب أعز الناس عليها، جزاءً وفاقاً .

روى أبو يعلى وابن حبان والحاكم والبيهقي عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما لما نزلت: (تبت يدا أبي لهب وتب) أقبلت العوراء أم جميل ولها ولولة ، وفي يديها فِهر [أي حجر بمقدار ملء الكف] ، وهي تقول : (مذمَّما أبينا ، ودينه قلينا ، وأمره عصينا) ، والنبي ﷺ جالس في المسجد ومعه أبو بكر إلى جنبه ، فقال أبو بكر : لقد أقبلت هذه ، وأنا أخاف أن تراك ، فقال : (إنها لن تراني) ، وقرأ قرآنا فاعتصم به ، فجاءت حتى أقامت على أبي بكر ، فلم تر النبي ﷺ ، فقالت : أين الذي هجاني وهجا زوجي ، فقال : لا ورب هذا البيت ما هجاك ، فولت وهي تقول : قد علمت قريش أني بنت سيدها [صحيح السيرة للألباني] . والله تعالى أعلم .

(سُورَة الإخلاص)

(مكية وآياتها ٤)
(بسم الله الرحمن الرحيم)

سُئِل النبي صلى الله عليه وسلم عن ربِّه ، فقيل : يا محمَّد انسب لنا ربَّك . فنزل هذه السورة : (قل هو الله أحد) أي الواحد الذي لا شريك له (اللهُ الصَّمدُ) أي السيد المقصود في قضاء الحوائج على الدوام ، والمعنى : هو الله الذي تعرفونه ، وتقرون بأنه وحده خالق السموات والأرض وخالقكم ، وهو الذي يصمد إليه كل الخلق ولا يستغنون عنه، وهو الغني عنهم، فلا يحتاج إلى أحد، ويحتاج إليه كل أحد (لم يلد) فليس والدا لأحد، ففيه رد على من جعل لله ولداً ، كالنصارى في قولهم : (المسيح ابن الله)، واليهود في قولهم: (عزيز ابن الله)، والعرب في قولهم: (الملائكة بنات الله) ، (ولم يولد) وهذا رد على الذين قالوا : أنسب لنا ربك ، فليس هو ولدا لأحد ، وذلك أن كلَّ مولودٍ محدَث ، والله تعالى هو الأول الذي ليس قبله شيء ، فلا يمكن أن يكون مولوداً تعالى عن ذلك ، (ولم يكن له كفوا أحد) نفَى أن يماثله شيء ، أي وليس أحد مكافئا ومماثلا ونظيرا له سبحانه ، لا صاحبة ولا غيرها ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

من فضائل هذه السورة : (أنها تعدل ثلث القرآن) كما ثبت ذلك في الصحيحين ، وذلك أن مقاصد القرآن محصورة في بيان العقائد والأحكام والقصص . وهذه السورة قد تجردت للتوحيد والصفات ، فقد تضمنت ثلث القرآن ، وفيه دليل شرف علم التوحيد وكيف لا يكون كذلك والعلم يشرف بشرف المعلوم ويتضع بضعته ، ومعلوم هذا العلم هو الله وصفاته ، وما يجوز عليه وما لا يجوز عليه ، فما ظنك بشرف منزلته وجلالة محله ، وقد سمع رسول الله صلى الله عليه وسلّم رجلا يقرؤها فقال : (وجبت) ، قيل : يا رسول الله وما وجبت ؟ قال : (وجبت له الجنة) .

ومن فضائلها : أنها تقرأ في سنة الفجر ، وسنة المغرب ، وسنة الطواف ، ركعة الوتر ، وفي أذكار الصباح والمساء ، ودبر الصلوات المكتوبات . والله تعالى أعلم .

سورة الفلق

(مدنية وآياتها ٥)

نزلت هذه السورة والتي بعدها لَـمَّا سُحِرَ النبيُّ ﷺ ، سحَرَه لبيدُ بن الأعصم اليهوديُّ في وتر به إحدى عشرة عقدة ، فأعلمه الله بذلك وبمحله ، فأحضر بين يديه ﷺ ، وأمر بالتعوذ بالسورتين ، فكان كلما قرأ آية منها انحلَّت عقدة ، ووجد خفة ، حتى انحلت العقد كلها ، وقام كأنما نشط من عقال . ولم يكن لهذا السحر أثر على جانب الوحي والرسالة من النبي ﷺ ، وإنما كان يخيَّل إليه أنه فعل الشيء ، ولم يكن فعله .

ففي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت : سُحِرَ رسولُ اللهِ ﷺ حتى إنه ليخيل إليه أنه فعل الشيء وما فعله ، حتى إذا كان ذات يوم وهو عندي دعا الله ودعاه ، ثم قال : (أشعرت يا عائشة أن الله قد أفتاني فيما استفتيته ، جاءني رجلان فجلس أحدهما عند رأسي ، والآخر عند رجلي ، ثم قال أحدهما لصاحبه : ما وجع الرجل ؟ قال : مطبوب . قال : ومن طبَّه ؟ قال : لبيد بن الأعصم اليهودي . قال : في ماذا ؟ قال : في مشط ومشاطة ، وجف طلعة ذكر . قال : فأين هو ؟ قال : في بئر ذروان . فذهب النبي ﷺ في أناس من

أصحابه إلى البئر ، فقال : هذه البئر التي أرِيْتُهَا وكأَنَّ ماءها نقاعة الحناء ، ولكأنَّ نخلها رءوس الشياطين ، فاستخرجه) .

(مطبوب) أي مسحور (المشط) : آلة تسريح الشعر . و(المشاطة) : ما يخرج من الشعر عند تسريحه . و (جف طلع النخلة) : وعاء طلعها ، وهو القشرة والغشاء الذي يكون عليه . و (بئر ذروان) هي بئر بالمدينة في بستان لبني زريق .

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(قل) أمْرٌ للنبيِّ صلى الله عليه وسلم ، وأمته تبع له في ذلك (أعوذ) ألتجئ وأتحصَّن (بربِّ) خالق ومالك (الفلق) وهو كُلُّ مَا انْفَلَقَ عَنْ شَيْءٍ : كالصبح والحَبِّ والنوى ، فإنه هو وحده (فالق الإصباح) ، و (فالق الحبِّ والنوى) وغير ذلك، لا يقدر على ذلك إلا هو جلَّ وعلا؛ لعظيم قدرته ، وسعة علمه (من شرِّ ما خلق) (ما) إمَّا مصدريَّة أي: من شرِّ خلقِه ، وإمَّا موصولة أي : من شر الذي خلقه ، والمعنى: من شرِّ كلِّ ذي شرٍّ ، من حيوان مكلَّف وغير مكلَّف، ومن نبات وجماد كالسُّم وغير ذلك (ومن شرِّ غاسق) أي الليل (إذا وقَب) إذا أظلم ، كقوله تعالى : (أقم الصّلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل) أي اشتداد ظلمته ، أو من شر القمر إذا غاب ، كما جاء في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم نظر إلى القمر وقال : (يا عائشة ! استعيذي بالله من شر هذا ، فإن هذا هو الغاسق إذا وقب) رواه أحمد والترمذي [صحيح الجامع] ، وهو قريب من المعنى الأول ؛ لأن القمر آية الليل ، فالأمْر بالاستعاذة من ذلك أمْرٌ بالاستعاذة من آية الليل وعلامته ، إذ الدليل مستلزم للمدلول ، فإذا كان شر القمر موجودا فشر الليل موجود ، وتخصيص القمر لأن له من التأثير ما ليس لغيره ، فهو أَولى ما يكون بالليل بالاستعاذة من شرِّه ، والليلُ مظلم تنتشر فيه شياطين الإنس والجنِّ ما لا تنتشر بالنهار ، ويجري فيه من أنواع الشر ما لا يجري بالنهار : من الكفر والفسوق والعصيان ، والسحر والسرقة والخيانة والفواحش وغير ذلك ، فالشر دائما مقرون بالظلمة ، ولهذا جعله الله لسكون الآدميين وراحتهم ، لكن شياطين الإنس والجن تفعل فيه من الشر ما لا يمكنها فعله بالنهار ، ولذلك قيل في المثل : الليل أخفى للويل .

(ومن شرِّ النفاثات) السَّوَاحِر اللائي يَنفُثْنَ (في العُقَد) التي يَعْقِدْنَها في الخيط، وينفُخْنَ فيها بشيء يَقُلْنَه من غير ريق، وخَصَّهُنَّ بالذِّكْر دون الرجال لأن السحر فيهن أكثر ، كما قدمهن في آية الزنا (ومن شرِّ حاسد) الجمهور على أن الحاسد من تمنى زوال نعمة الله عن الغير ، وقيل : هو من كره نعمة الله على الغير ، سواء تمنى زوالها أو لم يتمن ، واختاره شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله (إذا حسد) أي إذا أظهر حسده ، وعمل بمقتضاه ، كلبيد المذكور من اليهود الحاسدين للنبي ﷺ ؛ أما إذا لم يظهره فلا ضرر يعود منه على مَن حسده ، بل هو الضار لنفسه لاغتمامه بسرور غيره . والاستعاذة من شرّ هذه الأشياء بعد الاستعاذة من شر ما خلق إشعار بأن شر هؤلاء أشد ، وختم بالحسد ليعلم أنه شرها ، وهو أول ذنب عُصِيَ اللهُ به في السماء من إبليس ، وفي الأرض من قابيل .

(فصل)

عن عقبة بن عامر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : أنزل عليَّ آياتٌ لم يُرَ مثلُهنَّ قطُّ (قل أعوذ بربِّ الفلق) ، و(قل أعوذ بربِّ الناس) رواه مسلم . وقال لعقبة بن عامر رضي الله عنه : (ألا أخبرك بأفضل ما تعوذ به المتعوذون : (قل أعوذ برب الفلق) و (قل أعوذ برب الناس) رواه الطبراني [صحيح الجامع] . وروى النسائي عن عقبة بن عامر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له : (لن تقرأ شيئا أبلغ عند الله من : (قل أعوذ برب الفلق) ، و (قل أعوذ برب الناس) [صحيح الجامع] . وروى النسائي أيضا : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (يا عقبة ؟ ألا أعلِّمك خير سورتين قرئتا ؟ (قل أعوذ

برب الفلق) ، و(قل أعوذ برب الناس) يا عقبة ! اقرأ بهما كلما نمت و قمت، ما سأل سائل و لا استعاذ مستعيذ بمثلهما) [صحيح الجامع] . وعن أبي سعيد رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتعوذ من أعين الجان وعين الإنسان ، فلما نزلت المعوذتان أخذ بهما ، وترك ما سواهما . رواه الترمذي وغيره [صحيح الترمذي] ، وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذتين وينفث ، فلما اشتد وجعه كنت أقرأ عليه، وأمسح بيده عليه، رجاء بركتها . والله تعالى أعلم .

(سورة الناس)

(مدنية وآياتها ٦)
(بسم الله الرحمن الرحيم)

(قل) أمْر للنبيِّ صلى الله عليه وسلم ، وأمته تبع له في ذلك (أعوذ) ألتجئ وأتحصَّن (بربِّ الناس) خالقهم ومالكهم ، خُصُّوا بالذِّكر تشريفا لهم ، ومناسبةً للاستعاذة من شرِّ الموسوس في صدورهم (مَلِك الناس) سيِّدهم وحاكمهم (إله الناس) معبودهم الحق ، فهذه ثلاث صفات لله جل وعلا : الربوبية ، والْمُلْك ، والإلهية ، فهو ربُّ كلِّ شيء ومليكه وإلهه ، وأظهر المضاف إليه (الناس) في الأخيرتين زيادة للبيان (مِن شرِّ الوَسْوَاس) أي الشيطان ، سُمِّي بالمصدر ـ وهو الحدث ـ لكثرة ملابسته له ، والوسوسة هي : صوت خفي يلقيه الشيطان في قلب الإنسان (الخنَّاس) وُصِف بذلك لأنه يَخْنس ، ويتأخر عن القلب كلما ذكر الله (الذي يُوَسْوِسُ في صُدُورِ النَّاسِ) أي قلوبهم إذا غفلوا عن ذكر الله ، ووسوستُه تكون بأنواع كثيرة منها : إفساد إيمانهم وتشكيكهم في عقيدتهم ، ومنها : أمرهم بالمعاصي ، أو تثبيطهم عن الطاعات ، ومنها : إدخال الرياء عليهم في الطاعات ، أو العُجْب بأنفسهم ؛ ليحبط أعمالهم وغير ذلك (مِنَ الْجِنة والناس) بيان للشيطان الموسوِس ، أي من شيطان الجن ، وشيطان الإنس، فكل منهما يوسوس، حتى الناس يوسوسون أيضا بمعنى يليق بهم في الظاهر ، وهو خداعهم ، وتزيينهم المعاصي ، ودعوتهم إلى الفجور ، ثم تصل وسوستهم إلى القلب، كما قال تعالى: (شَيَاطِيْنَ الإِنْسِ وَالجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا). والله تعالى أعلم .

(فصل)

قد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنه ما من أحد من بني آدم إلا وله قرين يُزَيّن له المعاصي ، والمعصوم من عَصَم الله ، ففي صحيح مسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : (ما منكم من أحد إلا قد وُكِل به قرينة) . قالوا : وأنت يا رسول الله ؟ قال : (نعم ، إلا أن الله أعانني عليه ، فأسلم ، فلا يأمرني إلا بخير) ، وثبت في الصحيحين في قصة زيارة صفية النبيَّ ﷺ وهو معتكف ، وخروجه معها ليلا ليردها إلى منزلها ، فلقيه رجلان من الأنصار ، فلما رأيا رسول الله ﷺ أسرعا ، فقال رسول الله ﷺ : (على رسلكما ، إنها صفية بنت حُيَيّ). فقالا سبحان الله ، يا رسول الله . فقال : (إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم ، وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما شيئًا ، أو قال : شرًا) . وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ جاءه رجل فقال : إني أحدث نفسي بالشيء لأن أكون حُمَمَةً أحبُّ إليَّ من أن أتكلم به . قال : (الحمد لله الذي رد أمره إلى الوسوسة) . رواه أبو داود [صحيح أبي داود] . وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : جاء ناس من أصحاب رسول الله ﷺ إلى النبي ﷺ فسألوه : إنا نجد في أنفسنا ما يتعاظم أحدنا أن يتكلم به . قال: (أو قد وجدتموه) قالوا : نعم . قال : (ذاك صريح الإيمان) رواه مسلم . وعن أبي

هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (يأتي الشيطان أحدكم فيقول : من خلق كذا ؟ من خلق كذا ؟ حتى يقول : من خلق ربك ؟ فإذا بلغه فليستعذ بالله ولينته) متفق عليه .

(فائدة)

فإن قيل : لم ختم القرآن بالمعوذتين وما الحكمة في ذلك؟ فالجواب من ثلاثة أوجه :

الوجه الأول : لما كان القرآن من أعظم النعم على عباده ، والنعم مظنة الحسد فختم بما يطفئ الحسد من الاستعاذة بالله .

الوجه الثاني : لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فيهما : (أنزلت عليّ آيات لم ير مثلهن قط) ، كما قال في فاتحة الكتاب : (لم ينزل في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الفرقان مثلها) فافتتح القرآن بسورة لم ينزل مثلها واختتم بسورتين لم يُرَ مثلهما ليجمع حسن الافتتاح والاختتام ، ألا ترى أن الخطب والرسائل والقصائد وغير ذلك من أنواع الكلام إنما ينظر فيها إلى حُسن افتتاحها واختتامها .

الوجه الثالث : لما أُمِرَ القارئُ أن يفتتح قراءته بالتعوُّذ من الشيطان الرجيم ، ختم القرآن بالمعوذتين ليحصل الاستعاذة بالله عند أول القراءة وعند آخر ما يقرأ من القراءة ، فتكون الاستعاذة قد اشتملت على طرفي الابتداء والانتهاء ، وليكون القارئ محفوظاً بحفظ الله الذي استعاذ به من أول أمره إلى آخره وبالله التوفيق لا رب غيره . [هذه الفائدة مستفادة من التسهيل لعلوم التنزيل للإمام ابن جزي الكلبي رحمه الله تعالى] . والله تعالى أعلم .

اللهمَّ احشرنا في زمرة العالمين بك ، العاملين لك ، الراجين لثوابك ، الخائفين من عقابك ، المكرمين بلقائك ، برحمتك يا أرحم الراحمين .

وصلِّ اللهم وسلم وبارك على نبينا محمَّد ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

تم تفسير (جزء عم) بفضل الله تعالى .

(فالحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات)

كتبه العبد الفقير إلى رحمة ربه الغني القدير : علي بن سالم بن يعقوب باوزير
تم الفراغ منه في آخر ساعة من يوم الجمعة ١٧ جمادى الآخرة ١٤٣٢ هـ